

أروايات مصورة للخيال



56

# أسطورة ملك الذباب

هاوياً الطبيعة



Looloo [www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

و. أحمد خنجر التوفيق

## مقدمة

هناك دائما الأمل في أن تبقى أحياء حتى الصباح ..  
إن الباب موصد ومفتاحه ليس معنا .. هذا صحيح ..  
رائحة الكبريت تنتشر ، ومن يعرف كتب القرون  
الوسطى يعرف مامضى رائحة الكبريت حين تأتي  
من دون كبريت .. أوغلق على هذا ..  
هذا الضوء الأخضر المريب من تحت الباب .. إنه  
مطلق .. هذا حق ..  
صوت الخفيف .. أم هو الفحيح ؟ لا يريح النفس  
كثيرا .. أعترف بهذا ..  
إن (الليث) تتحرك بالخارج .. أنا أعرف هذا  
وأنتم تعرفونه .. وتعرفون من هي (الليث) لو كان  
في عروقكم دم لم تمتصه بعد ..  
لكننا ما زلنا أحياء .. ما زلنا نتنفس ..

لا أرى ما يمتنعا من أن ترى ضوء يوم جديد ،  
فهذا الموقف ليس أسوأ مما مر بنا ..

كيف ينتهي هذا الموقف ؟ كيف تخرج من هذه  
الورطة ؟ لا أدرى طبعاً ..

تعالوا من حولي .. فربوا الرعوس .. أصفوا نى ..  
اليوم لحكى لكم عن ملك الذئب ..

كلا .. لست بصدد سرقة أو اقتباس أو استيحاء  
رائعة (وليام جولدنج) التى لال عنها جائزة  
(نوبل) .. الرواية التى تحمل اسم (إله الذئب) ،  
والتي تعكس عن مجموعة من الصبية على جزيرة  
مهجورة ، يحاولون أن يبدعوا مجتمعاً ..

إن قصة اليوم لا علاقة لها بهذا الموضوع .. تكن  
لا توجد طريقة أخرى لوصف ملك ذئب [لا بأسه  
(ملك الذئب) ..

مرعبة ؟ ربما .. إنها تخيفنى شخصياً وأكره أن

أكرهها .. لكنى مضطر لذلك الآن .. فقط كى أمارس  
عشيتة انتقال الخبرات التى هي وقود للتطور الأهم ..  
وربما هي مبرر وجود الشيوخ أصلاً ..

مرعبة ؟ حتى لو كانت مرعبة فكن تتفوق على  
(نوليث) التى تجول فى الخارج ، محاولة أن تقتحم  
\* الغرلة علينا ..

مرعبة ؟ لو كانت مرعبة تكون قد قدمت لمن  
يهوون الرعب ما يريدون .. وإن لم تكن فعلى الأقل  
قد رفعت عنكم حتى نلتى ساعات النهار ..

هذه القصة - إن - هي نوع من التسلية كى  
تلتسوا ذلك الشيء الذى ينتظر على ناحية الباب  
الأخرى والذي قد يدخل فى أية لحظة ..

عندها يعلم الله وحده كيف ستكون ...

\*\*\*

## 1 - بعد منتصف الليل ..

« لا يوجد ما نلقه إلا أن نتنظر .. »

قلت له وأنا أرشف القهوة التي طلبها لي :

« غريب أنت يا أخ ( شريف ) .. »

قال رافعا جلبب قهقهة الأيسر :

« هل ستكرر نفس ما نقوله في كل مرة ، عن أنني جنيد بالدراسة ككائن غريب ؟ عن أنني لاصع لطيف جدير بأن أوضع في كتب القراءة للقديمة ، التي تتحدث عن الطلب المثالي ؟ »

« ليس هذا ما أعنيه الآن وإن لم أتنازل عنه .. وإنما عنيت أنك تقدم برنامجا على الهواء ، يعتمد على مكالمات المستمعين للهاتفية ، ورغم هذا أنت تقامر .. فعلا تقامر .. ماذا لو بدأت الحلقة وانتهت

من دون أن يتصل أحد ؟ لقد مرت عشر دقائق من دون أن يرن جرس الهاتف .. »

قال ( شريف ) وهو ينظر في ساعته بقلق ، وينظر إلى مهندس الصوت :

« ماذا تريد ؟ هل تريد أن ألقى متكلمي مزيفين كما يفعل الجميع ؟ »

بالطبع لم تكن هذه الكلمة مسموعة ، لأن مهتم الصوت كان يقوم بإذاعة عدد لا ينتهي من أغاني ( عهد الحليم حافظ ) القصيرة المرحلة ليضيق الوقت .. وهذا طبعاً بعدما قال ( شريف ) المقدمة المملة المعهودة عن « حكاياتكم التي ستكون وفورداً لآلة الرعب كي تتحرك » ..

كفت هذه إحدى حلقات البرنامج الإذاعي ( بعد منتصف الليل ) الذي كان يذاع في الواحدة من صباح يوم الجمعة أسبوعياً .. فلا بد فإن أننا كنا في العام 1969 أو 1970 .. لا أذكر بالضبط .. المؤكد بالتسمية في هو أننا كنا في الشتاء .. ربما شهر فبراير كذلك ..



(بعد منتصف الليل) .. هذا البرنامج الأسبوعي الذي أعطاني قسطاً لا بأس به من الشهرة - وليس المال - في عصر كان المذيع فيه ذا أهمية بالغة ، وكان بالفعل يمثل بؤرة البيت ، والذي تقوم فكرته - ببرنامج لا مذبذبات طبعاً - على تلقي مكالمات المستمعين على الهواء .. دائماً ما كان الرعب أو شيطاناً خيفاً موضوع تلك الحلقات ، وكنت أرد بما يفتح فله على به من ردود .. لكنني كنت في أكثر الأوقات أعب دور المشارك المدهش لا الناصح الحكيم ..

لربما بعد حدث ما يحدث دائماً .. هناك أطفال أوغاد - وكل الأطفال كذلك على الأرجح - يظنون ساهرين إلى ما بعد منتصف الليل ، وبرغم التحذير الواضح في بداية الحلقات فبأنهم كانوا يستمعون .. ويبدو أن البرنامج كان يثير رعبهم .. نعم .. إن تأثير الأصوات الخارجة من المذيع في سكون الليل يفسح مجالاً هائلاً للخيال ، وربما لو كان البرنامج على شاشة التلفزيون لما أحدث هذا التأثير ..

هكذا قررت الرقابة إيقافه بعد عام .. لكن ما زالت لدي حلقات كثيرة منه .. وبعضها ممتع بلا شك ..

قلت للمذيع ( شريف السعدني ) وأنا أضاع قدح القهوة على المنضدة :

- « لا أعني تطبيق المكالمات .. بل لخاها .. أن تكسر بعض المستمعين طيلة الأسبوع على أن تضمن اتصالهم بعد منتصف الليل .. »  
في نقول لهم وقال :

- « لا تقلق .. أنت لا تمارس العمل الإعلامي ولا تعرف أن هذه المكالمات كالرزق .. لا أحد ينام من دون عشاء ، ولن يمر البرنامج من دون مكالمات .. ثم انفسى أراهن على علم النفس .. إن المواطن العادي لا يمكنه أن يقاوم سماع صوته أو آرائه خارجة من المذيع بينما يسمعها الملايين .. هذه غريزة من الغرائز التي تحرك التاريخ ، مثل غريزة البحث عن الطعام والجنس والنفوذ .. »

هذا أقوى من التحمل البشري .. ثقی أن الجرس  
سینق الآن ..

نظرت له مثلًا نظرة طويلة أخرجته .. وقلت :

« متفائل كالعادة .. دائماً متفائل .. وهذا يضاهي  
إلى صفاتك العجيبة التي أهدتها جنيرة بالدراسة .. أنا  
على عكسك شديد التشاؤم ، وأرى أن هذا شيء لن  
يدق لهذا .. »

قال في شيء مهذب :

« تنازلي غير عطاشي .. وتشاؤمك غير عطاشي  
كذلك .. »

« أنا أؤمن بأن الحظ الحسن ليس ضيقاً .. لهذا  
أحتاط دائماً .. إن بعض التخطيط لن يضر أحداً .. »  
هنا .. كنما ليثير غيظي - دق جرس الهاتف ...

\*\*\*

يبدو أن الحظ يتسم للذين يثقون به ثقة عياء ..

لقد جاء الصوت عبر الهاتف .. وكان من الواضح  
أنه من زياتن البرنامج فعلاً .. وتبادل ( شريف )  
ومهندس الصوت نظرة ، وعلى الفور توقف صوت  
( عبد الحليم حافظ ) قرخيم ، وخرج من السماعات  
صوت متحشرج وأمن يقول :

« مساء الخير .. »

فهو رجل لا يتمتع بالحن الجغرافي إذن ، لأننا  
( صباح الخير ) الآن ..

أخذ صوتي طابعا ( إعلانياً ) رسمياً وقلت :

« صباح الخير ياسيدى .. هل يمكن أن تعرفك ؟ »

« أنا ( مختار مسلموى ) .. أرىمون عالماً ..  
بلا عمل ولا أسرة حقيقيًا .. أسرتي من ( الدلاجيت )  
بشبحيرة لكنني أصبش في القاهرة الآن .. »

قال ( شريف ) :

« أنت لا تصبغ وقتاً ياسيدى .. لقد لفصت كل  
شيء عنك .. »

« لو رأيت مارايته لعرفت أن الوقت لا يمكن أن  
يضيع .. إن حياتي لا تنتهي أبداً .. والتصر الوحيد  
الذي أحرقه في نهاية اليوم هو أنه انتهى .. »

قلت في حكمة :

« هذا كلام مريض الاكتئاب جميعاً .. »

صمت الرجل ، ثم قال في تودة :

« ما علينا .. »

« هل هناك مشكلة ياسيدى ؟ »

« نعم .. الذئب ! »

لم أقهم ما يرأس إليه ، فعدت أكرر السؤال من  
جديد :

« أعنى المشكلة التي تمر بها .. المفترض أن  
هناك مشكلة .. »

« قلت لك إنها الذئب .. »

هنا بدأت أتهم .. هذا مهرج آخر ممن يكرهون أن  
يقوتوا فرصة جلب ذيل الكلب الصغير أو ركل القط  
التام .. العبت غريزة مدمرة لها سلطاتها ، وسل عن  
هذا أي واحد ممن لا يطيقون أن يروا مقعد حافلة إلا  
ومزقوه بالموسى ، ولا يرون لافتة ( الرجاء عدم  
التكلم ) إلا وحفظوا ( عدم ) التصير ( الرجاء التمكن ) ..

قلت له في ضيق :

« نحن شاكرون لك ياسيدى .. ولعذر عن  
إضاعة وقتك ولكن ... »

هنا صار أدود عصبياً بحق :

« أقول لك إنه للذئب .. الذئب يعاصرني في  
كل مكان ولا أفكر على الخلاص منه .. »

بدأت لي عصبية حقيقية .. لو كان مثلاً فهو  
عقري .. ولو كان مجنوناً فهو من الطراز الذي  
تعرفه الأعلام المصرية ، والذين يصفهم الدكتور  
( شديد ) يوماً بعبارة : ما أبعدك !

هذا تدخل (شريف) ليثبت أنه ليس فقط نظرياً  
وإن ناس، وإنما هو أيضاً ليق :

« سنكون لك شاكرين يا أمثلة (مختار) لو  
تحدثت بالتفصيل .. »

هذا بدأ الإيقاع بهذا قليلاً .. وبدأت قصة الزوجين  
تولد ...

\*\*\*

قال الأمثلة (مختار) :

« هلك دائماً بداية لكل شيء .. لكن قصتي  
بلا بداية ما .. فقط صموت من النوم لأجد أنني  
صرت كذلك .. »

« يمكنني أن أتكلم طويلاً عن المحاسب المحترم  
الذي عاش حياة هادئة بلا تقلبات ولا مشاكل .. حياة  
هادئة كالنهر .. يمكنك أن تتبها بدقة من أين بدأت ..  
وأية مسارات تتخذها .. وأين تنتهي .. طبعاً  
لا تستطيع معرفة متى تنتهي هذه .. »

« كلية التجارة .. التخرج .. شركة خاصة  
محترمة .. زوجة صالحة من بنات الأسر .. طفلان  
جميلان .. بيت هادئ .. سيارة (نصر) صغيرة  
ممتعة لكنها تؤدي الغرض .. المصيف في  
الإسكندرية أسبوعاً كل عام .. مدخرات بسيطة لكنها  
تجلك مطمئناً نوعاً إلى الغد .. حلم الحج قبل أن  
تموت .. بطيخة وجريدة كل يوم في أغسطس ..  
تزهة على الكورنيش مع الترميم واللب في ليالي  
المصيف .. تلفزيون صغير .. »

« لقد نلت نصيباً من كل متع الحياة .. نلت  
نصيباً صغيراً جداً لكنني لم أحرم من شيء .. وعرفت  
أنني على الأرجح سأحاول الاستمرار برغم أن  
أمرتي لم تعرف بطول العمر .. أساعد الولدين في  
قرواج .. أذهب للحج .. أعود لأجلس على المقهى  
لعب الطاولة مع أصدقائي القدامى .. في كل يوم  
يموت واحد .. في النهاية أعود إلى الدار وأطلب  
كوب ماء ثم لا أشربه لأنني أكون قد مت بالمسكنة  
القلبية .. جنازة .. دموع .. معلى .. صورة ذات



شريط أسود في الصلاة .. ثم يرمى الجميع كل شيء ..  
على ..

- « هذا هو النهر الهدي الذي تعرف في كل  
لحظة أين سيكون في اللحظة التالية .. »

هنا تدخلت كعائتي :

- « ألا تهدي أن هذه الحياة قد تهدو جحيماً للبعض ؟  
إن عشرين عاماً لأخري من شراء البطيخ وأكل  
الترمس فهي فترة أطول من اللازم .. »

قال في هدوء :

- « إن فكرتي عن السعادة هي المصيريات المنتظمة  
الهدي .. ربما أنا أحمي أو أُنكى من الآخرين .. لكنني  
لست من الطراز الذي يشكو من حياة هادئة كنتك .. »

في تأمل قلت :

- « حقاً .. أنكى أو أحمي .. إما أن تكون في غاية  
الانكفاء الذاتي والتضج للفلسفي ، وإما أن تكون  
.. معذرة على التعبير - بقرة راضية عن مرعاها .. »

المهم أن هذا المصيريات الهدي المنتظم تحول إلى  
حركة نواسية تطبق كل قوانين ( برنولي ) .. »

هنا ضغط ( شريف ) على ركبتي لأخري قليلاً ..  
وأنا إلى حد ما أقمهم ..

واصل الرجل الكلام :

- « نعم .. في ذلك اليوم الأسود - منذ شهرين  
تقريباً - صحت من النوم لأجد أن هناك ذبانياً أكثر  
من اللازم في الغرفة .. نهضت من الفراش ، وفتحت  
للشرفة ورحت أدبه بالمهشة .. لكن عدده كان يتزايد  
ببطء .. »

- جاءت زوجتي إلى الحجرة واندثت لما رآته ،  
لهذا أحضرت مقعد ( التسيوينة ) لتصعد إليه وتمد  
بدها فوق حذاتة الثياب لتحضر رجلا ( الفيليت ) ،  
ثم سلأت البخلقة بالمبيد ، وبحزم وصرامة راحت  
ترش تلك الحشرات المزعجة وهي تلوم للولدين  
للذين ياكلان الحلوى ثم يتمسكان كل شيء بأيديهما  
الملوثة للزجة .. تصافط الكثير من الثياب وبدأ لنا  
أنا نتصرتنا ..

« لكن الذباب عاد يحتشد من حولي حين جلست  
ألثم الإبطار ..

« ذباب على الطبق .. ذباب يحوم حول رأسي ..  
ذباب على المنقة .. ذباب فوق طبق الفول .. وفي  
هذه المرة نهضت مذعورا وظللت من زوجتي أن  
تعيد استخدام المبيد ، لكنها صاحت في إباء إنها لن  
تفعل هذا على مائدة الطعام أبدا ..

« هكذا لم أتناول الإبطار وغفرت لدار ..

« كنت شارد الذهن فلم أعلق أهمية على  
ما يحدث .. وركبت سيارتي العتيقة إلى العمل ..

« غريب هذا ! إن هذه السيارة تعج بالذباب ! كنا  
في ديسمبر والطقس أقرب إلى البرودة ، وبالتالي  
لم يكن هناك ذباب إلا فيما ندر .. لكنني وجدت أن  
هناك عددا لا بأس به من الذباب النحوج السمج حول  
وجهي وأنا أقود ..

« لم يكن ذبابا عانياً يخضع للذب بسهولة .. بعضه

كان من النوع الذي يعتقد أن وجهي مكسو بالصمغ  
.. وكان له طنين بشير الجنون ...

« غنخت النافذة ورحت أحاول أن أبعد حتى كاد  
هذا يكلف أحد المارة حياته ، وفي النهاية وصلت إلى  
علمي ..

« يجب أن أقول إنني حتى تلك اللحظة كنت  
أفترض أن هناك هجوما غير مبرر للذباب على  
الجميع .. من الصعب وأنت محاط بالذباب أن  
تفترض أنه لا يهاجم الآخرين .. لو أن سخابة من  
الخروم تمطر حولك أنت وحدك فلن تعرف إلا  
بصعوبة أنه لا توجد لسطار في موضع آخر ..

« دخلت لتصل فكتكت الملحوظات ذاتها . ورشت  
المبيدات ووجه الثوم إلى العمال الكمولين .. لكنني  
بعد قليل بدأت أفهم أنني الوحيد .. فعلا الوحيد الذي  
يحيط به الذباب ..

« هنا صمت (مختار) .. صمت برهة طالت ، فسألته  
وقال إن قدهش لو كان قد مات :

- « أستاذ (مختار) . ماذا حدث بعد ذلك ؟ »

- « نعم ؟ »

كأنه يتكلم من بئر عسيفة

- « قلت لك ماذا حدث بعد ذلك ؟ »

فل بطريقة تقريرية -

- « انتهت القصة ! »

- « ماذا تقول ؟ »

- « لقول إن القصة انتهت عند هذا الحد . »

- « أي شيء كُتبت حداث يوم واحد ؟ لقد انتهت

الكابوس بلا تفسير »

- « بل هو مستمر بلا تفسير    إن محاربة من

الغالب تحيط بي الآن <sup>١١</sup> »

\* \* \*

## 2 - ملك الذباب ..

قل (مختار) -

- استمرت المشكلة تنقص عافى لم تعد  
روحى تتحمل ، ففكرت قبيت مع الطفلين طبعا لم  
تطلب الطلاق لأن مشكلة كهذه لوست من الطرزال  
الذى يمكن الكلام عنه فى المحاكم

- طبعا فى الفصل قبل لى فى هذه شركة محترمة ،  
ونفس من المستحب أن يعمل بها موظف محيط به  
الذباب وهكذا طردوسى وضميرهم يؤنبهم لأننى  
كنت بالفعل موظفا بارعا مخلصا لو أننى أصبت  
بالجذام أو الدرن فى أثناء العمل ، لاعتبرت حلقى عجزا  
أو شيئا من هذا القبيل ، ولكن لى معاملة مادية  
معقولة لكن هل يوجد (قومسيون) طيب يعترف  
بالذباب كمسبب للعجز ؟



« وهكذا يذكتور (رفعت) وجنت نفسي خلال  
أسبوعين وقد فقدت كل شيء العمل والأسرة  
وراحة القلب فلم يبق لي إلا البيت الخاوي كى  
أخفى فيه سرى والحقيقة إن فكرة الانتحار خطرت  
بى مراراً، لكنى كما قلت لك رجلاً متكيئ عاتق حياة  
محترمة فهذه انتهى هذه الحياة المحترمة بشرعيتين  
مقطوعة ؟ من الغريب أن لمسى استأزت بسيدك  
بموتك فى سن مبكرة لا تتجاوز الأربعين ، لكننى  
الاستثناء الوحيد هما كما يبدو ، وهذا ليس مع بسعد  
نفسى »

هنا جاءت النقطه التى كنت أحشاها منذ بدء  
المحادثة

« - ما هو رأيك إالى يذكتور (رفعت) »

ابتلعت ريقى بواهم احصروا هذا كل المسحرة  
وخبراء الميثافيزيقا والقوى النفسية وكل الأطباء  
النفسيين وعظماء العشرات ، هلا أحسبهم سيقولون  
رأياً أكثر عمقا من رأيى الآن



وهكذا يذكتور (رفعت) ، يحدث نفسى خلال أسبوعين وقد  
فقدت كل شيء

« لا رأى لى بالأسفل (مختار) هذه القصيدة  
غريبة حقاً. بل إنى لم أسمع مثلها من قبل »

« أنك لا اتصل كى تخبرنى بأن حالتى غريبة »  
قلت فى عصبية

« يجب أن تكون عادلاً متحسناً هرسة لتكوين  
رأى أما أن تطالبى بالحكم القورى فانت (سليمان)  
الحكيم لاحظ لك تعرف حالتك جيداً وتلقاها. أما  
أنا فلم أسمع عنها إلا منذ عشر دقائق »  
قال (شريف) لى زلزلة.

« الأمر يوحى بأن هناك نصة معينة تطارد  
الرجل »

« يبدو الأمر كذلك لكنه كما قل بعينها كهر  
هادئ، والقصيدة لا تطارد الأكلهات فهذه إنها  
تطارد التوامات والشلالات ومساقط المياه »

ثم تكلمت موجهة الكلام إلى ضيف البرنامج.

« هل لك تحتكك سابقى بعراق الميثاقين؟ هل

تحت مقبرة هرعوية أو آشورية أو تخص أباطرة  
المقتضو؟ »

ضحك لرجل بعصبية - ولم يرد وكان معنى عدم  
الرد بليقا  
عنت أمثلة:

« هل تطعن أحد أطرافك؟ هل أنت مصيب  
بضربها الغار أو ي جرح ملوث؟ »

فى صيف صدر قال

« لا. »

« هل يمكنك الاتصال بى؟ لابد من لقاء إن  
مشغلتك أعقد من أن تحل على الهواء »

« ممكن »

« هل تعرف طريقة الاتصال بى؟ »

« اعتقد »

ثم وضع السماعة.

كان تأثير هذا شبيهاً بالصيغة كثيراً لكنني تعودت على أنما نحن - بمسألة الإعلام - من يصنع السماع في وجوه الآخرين من الوقاحة في تصفح من اعتاد أن يصنع

قال (شريف) وهو لم يلحظ ترتيبك

- « حيلة غصبة بانكتور وأعتقد أنه لم تتحرك كثيراً بعد سماع القصة كاملة »

قلت في صبي

- « لا أعرف إلنا بطرئ دوماً إن من يتصل بها صديق ، ولألمترهين للعلمين فراديين في التسلية على خلق الله لاوجود لهم وهو فطرص (يونوس) إلى حد بل وأجسر على وسطه بالمداخلة »

- « لا مصلحة له في الختلاقي قصة »

- « لانتس متعة اللعب اللعب للعبث كما في (أوسكار وايلد) تحدث عن الفن للفن ، وتحدث (بيوش) عى الحياة للحياة »

- « ربما لكنا - كما قلت أنت - تطرئ حسن قوية في مستمعين يبدو أن الوقت داهف ليس فلتنا سفتي إلا أن نشكر إلخ »

\*\*\*

تكون كاذبا لو قلت إن القصة احتلت أي جزء من عظمى في الأيام الثقيلة

لقد عنت لمعركة حيتي للزمنية ، وفي الأسبوع التالي عدت إلى الأسبوع لأقدم حلقة أخرى من البرنامج ، وكنت قصة الطفلة (هال) التي كانت تعتقد أن لهاها قد مسه تمثال (ست) ، أعتقد أنكم تذكرون تلك الحلقة كانت قصة غريبة لكن - على الأقل - كان لها تطورها .

كنت استعد في تلك الوقت للسفر إلى الولايات المتحدة ثم أوروبا ، لقد أنجزت (شريف) أن الحلقة ستوقف بعض الوقت .. لو لم يكن البرنامج على الهواء لأمكننا في تسجيل حلقتين أو ثلاثا للهدف

من سفرى مؤتمران عظيمان ، لكن النتيجة القروعية  
كانت تلك المغامرة الأوروبية التى حكيتها لكم عن  
اجتماع الساحرات فى كهلهن لأكل الكفيل ماذا ؟  
لم أحكها بعد ؟ مستحيل لا بد قسى حكيتها باسم  
( أسطورة كهف للسحرة ) أو ( أسطورة العنة ) أو  
شيء من هذا القبيل .. غريب هذا ؟ قسى بن لشيخ  
حقا ...

يكن . ربما أحكها فى مرة قادمة . لكن نوس  
اليوم ..

كانت حياتى تمضى بانتظام لكنى لم تكف عن تكر  
ذلك التعبير الذى قاله ( مختار ) عن تلك الحياة  
الهدية كالنهر . يمكنك أن تتبأ بدقة من نوس  
بدات وأية مسارات تتخذها . ولين تنتهى  
وعلى لا تستطيع معرفة متى تنتهى .

إن حياتى نهر هدى بلبل . لكن مشكلتها هى  
تلك القشلات التى تعترض طريقها من حين لآخر .  
ولا أعرف حقا إن كنت أتمنى أن أعيش فى نهر لم

فى شلال الأول مدل أكثر من اللازم والآخر مشير  
أكثر من اللازم ربما لو قسى منحت حياة شخص  
نهر لاخرت حياتى هذه . على كل حال أنا أعدت  
جو القويذ القديمة والأشباح ومصاصى الدماء  
الذين يعودون للحياة ، ولم أعد أتصور أية حياة  
أخرى . ويبدو أن هذه الأشياء بدورها لم تعد  
تصور أى لحمل آخر سوى

أعتقد أن الشر هو ما أتوق إليه الآن .

كنت جالسا فى مكتبى - بعد أسبوعين - أراجع  
بعض الأوراق القديمة حين شعرت بوجود وجود  
ثم بعد هائلة من الطول والعرض والارتفاع  
رفعت رأسى فوجدت أن القواقب على الباب امرأة ..  
امرأة ضخمة كالكاينوس تقف على الباب وتنتظر فى  
أب حتى أرفع نحوه عينين متسائلتين .

تترعت هويت لقراءة ، وارتدت العريقات الأخرى  
وهى تضمن الحظ تصغر الأشياء قليلا . وبالتالى  
صار بإمكانى استيعاب هذا الكيان الصلاق وأعدت



تتأمل فوجدت أن رأيي الأول كان مصيباً ، وفي كان  
لها وجه طفولي مريح فهي إن لم تتقبلي على  
الأرض وتركي طحلي حتى يتمزق ومن الصعب  
في هذه الأيام أن تقابل من لا يطلع بك ذلك

.. « دكتور رافت » ؟ ( رافت إسماعيل ) ؟

فلو كانت أسمع قليلاً نكت لها رداً سخيفاً على  
غرار : إن لم أكن أن هو فالأمر خطير . إلخ .

.. « ألهو » .

.. « أن ( مسيرة عبد الطوف ) مدام ( سلموى )

لو أردت .. »

كان الاسمين لا يطبقن في أي شيء . لكنني انصمت  
كأنما تعلقت على تخيراً بزيارة طال انتظارها .  
ودعوتها للجلوس .

جلست سمعت الأريكة العتيقة تنكح احتجاباً . ثم  
قالت وهي تلهث من فرط ما لحركت من ( الأيديوسمين  
ثلاثي الفوسفات )

.. « نحن لم نتفصل .. اعني أن هذا لم يتم رسمياً .  
فقط قافى بيت أهلى إلى أن يستجد شيء » .

ومدت يدها إلى كوب الماء على مكتبى فرشفت  
رشفة لا يأس بها ثم غمضت :

.. « لا يولحنى » .

كأنما هذه المرأة تقترض أنسى أفكر كل شيء . عن  
هل جسم مشى على البسيطة لا اعتقد أن كمبيوتر  
المخبرات المركزية الأمريكية يمكنه أن يزعم هذه  
القصة . لذا قلت لها في رزقة

.. « الحق هو ما فكرت فيه الانفصال هو آخر  
حل يلجأ إليه الزوجان .. إن الهنم لسهل من البقاء » .  
.. « هذا ما فكرت فيه .. »

.. « وهو ؟ لم يأت في بيت أمك قط طالباً الصبح ؟ »  
.. « نعم .. لم يأت إن مشكلته تزداد تعقيداً وهو  
لا يجد الراحة لحظة واحدة »

- « هل كرامته ملتتهبة إلى هذا الحد ؟ »

- « بل عيناها هما الملتتهبتان . فقلت تعرف إلى فرد لا يطارق عينيه بسبب كل هذا الذباب ؟ »

هنا انتهى غنيل صبرى فصحت في عصبية :

- « ذباب ؟ عه تتكلمين بالضبط ؟ »

نظرت لي في غباء . ثم تفجرت في ضحكة مرهقة نصة .

- « وأنت عم تتكلم ؟ ظننتك فهمت أنني أتحدث عن ( مختار سلاموني ) الرجل الذي اتصل بك في أثناء إدعاء برنامجك الإذاعي لقد نسيت اسمه . »

هنا عاد إلي خيط الذكريات بوصفح ناعم .. هذه زوجة الرجل الذي يطارد الذباب . ومن هو واضح أنها تحاول معرفته بشكل ما

قلت لها وأنا لجلجل عرقى

- « هل لي أن أعرف سبب تشريفك لي ؟ هل أرميك زوجك ؟ »

- « كنت لك إته لا اتصال بيننا .. »

- « وكيف وصلت إلى هنا ؟ »

- « من يسل لا يصل للطريق المهم أنني جئت عقب عوك لأنني أعرف أن زوجي لن يتصل بك هنا . إته فقط يعرف أنه لا أحد يستطيع مساعدته

ونحن نتصلقه بهرتامجك كان محاولة لفيرة ( من حلوة الروح ) كما يقولون . لكنني أتابع منذ زمن ورمجك الذي تميت اسمه . أعرف أنك يزع لو على ذلك أنت فضل انتهاء لو النصابين الموجودين . »

ثم قلت تسألني في فصول :

- « هل سمعت من قبل عن رجل يطارده الذباب لهنم دهب ؟ »

قلت - مكنما نفسي في الواقع - وأنا أخط بالقلم على الورق :

- « هناك في الأساطير الإغريقية مدينة كسلية بتليت بالذباب ، هي مدينة ( أرجوس ) ، وهذا لأنها



بينما ما حدث تزوجك واقع لاشك فيه . ورأى الخاص  
الذي أصر عليه هو أنني لن أقول حرفاً دون لقله ..  
وعدت أبنائها :

« كيف يبدو الأمر ؟ »

فالتت في بساطة :

« كما قال لك . حينما وجد هناك ديباب كثير  
جداً .. مهما جريت المبيدات فلا جنوى سرعان  
ما تتشدد أسراب الحري هذا يجعل الحياة  
لا تطلق . »

« وهل تتبعث منه روائح منفرة أو شيء من هذا  
الذيل ؟ هل يعنى من مصدر للتفح ؟ »

تكون قفص شمراراً كلما قلت شيئاً غريباً  
وقالت :

« قبيحة لكن لا يمكنك أن تحفظ بصمتك مع كل  
هذا الذئب بالطبع للتهبت عينا واضطربت  
صعته .. ولو بقيت معه لأصبحت ما أصابه . فإلى أنت

كسبة يا كنور (رافعت) . أنا أحب بيتي وزوجي .  
يمكن ما يحدث هناك هو شيء بلا تفسير والأهم  
فيه لا يطقى .

« فهمت . أى أن قمرص جاء نتيجة وليس  
سبباً . وبالطبع أخذت رأى عند لابس به من  
الجنين . »

رسم على وجهها تعبير يقور بوضوح .  
(ساعتش) .. وراحت تلوح بكفها كأنه تطلب  
بصر الهواء :

« يوم .. يوم .. عدد لا يحصى منهم . طبعاً كانوا  
يحدثون عن عمل (سلى) . إلخ .. لكن ما توصلت  
إليه هو أن هؤلاء القوم لا يعرفون شيئاً . لا يعرفون  
شيئاً على الإطلاق . »

ثم وضعت يدها السمكة على المكتب وقالت :  
« لن يأتى إليك أبداً . يجب أن تذهب إليه .. »  
نظرت لها في حيرة وابتلعت ريقاً :



— « هل هناك سبب لكل هذه الحماسة ؟ »

— « كنت تنفذ أسيرة من الإتهامات ، وتتفذه من  
للجون .. هو أن ينتحر كلفه سيفعل إذا جن . من  
يترى ؟ لعل الله جاعل للخلاص على يدك لا تبدو  
فأمرًا على ذلك ، لكن الله قادر على كل شيء »

سأد الصمت وهلة . سألته رأيتها في قادي بولنته  
من خيرة طويشة مع المحسوس والكففة والمسن  
البلدي . دعك من أنها لم تهتد عن الحقيقة كثيرًا ..  
رحلت أرمقها وقا لي بأصبعي على المنضدة ، ثم  
قلت لها :

— « حسن .. أريد الضمان . »

ليست في توحش وفقت

— « المشكلة الأخرى هي أنه لن يملك أبدًا بكامل  
وعيه . اعتقد أنك ستحاول إقناعه عدة مرات ، فإن  
فشلت فطردك أن تتصل إلى الداخل ! »

\* \* \*

### 3- المقابلة ..

يجب أن تكون واضحة

قد يحلو لي بعد قليل من المرد ، وقد يحلو للبعض من (صاعدي الأبطال) أن يعتبر أنني فعلت ما فعلت إطلاقاً من شهامة قل أن نجد لها هذه الأيام في الحقيقة لأحب أن أطلق على الأمور أسماء أخرى إن الناس قد تعتبر الشخص العمل إنساناً (يقصد الصمت حين لا يوجد ما يقال) . وتعتبر الشخص الواقع رجلاً (لا يصمت عن الحق) والعاشق يتخلص من لسانه دافعاً لأنه ملها ، بينما هي ترتجف تأثراً بالقلب العرف الذي يمنحها حريرتها مع من هو الفصل منه

لن أزعج شيئاً من هذا لقد كان الفضول هو ما يحركني للفصول لتجربة جديدة ، وأنا كما كنت لكم أجمع الخبرات كما يجمع غمري عذب الثقاب أو

مداونت للزجاجة هذا للفضول يمكن بسهولة أن  
يطلع غير المدققين بأنه شهمة لا جد لها

قالت لي الزوجة وهي تخرج المفتاح من حقيبتها:  
« لم يعد يلزم الدفء لهذا . لذا مستجده لي أي  
وقت .. »

« سوف يملأ ثلثها صرخاً ويطلب الشرطة  
سأحول إلى ( هجم ) كترقية أخيرة في حياتي .. »

« أولاً هل إن يطلب الشرطة لهذا ثقتاً هو يعرف  
وجهك . وسوف تنقضي فترة عدم الفهم والمفاجأة  
سريفاً ، ثم يبدأ في الكلام . »

« ومن قال إنه لا يوجد اليأس بالمزلاج ؟ »

« أنا قلت . ليست هذه من عبقه . »

على كل حال أخذت منها المفتاح وأنا أنوي ألا  
أستعمله أبداً . من أتراني أن هذا ليس مثلياً  
لتوريطي في تهمة سرقة ؟ ليس لي أعداء بشريون  
كثيرون ، لكن هذا وارد .. بعد أعوام رأيت هذا

السيناريو حرفياً في إحدى حلقات ( الكاميرا القوية  
CANDID CAMERA ) الأمريكية . ولكن لقطع ما حدث  
للمتصل هو أنه فوجئ بمن يقول له : « نعم .. أنت  
في الكاميرا القوية . »

هنا إن يكون الأمر كذلك

قلت لها ولما أمس المفتاح في جيبس .

« ليس . سأؤمره ونحاول أن نفل شيئاً .. »

انصرفت في انصراف ثم بدأت في إحراق ( « أيلومين  
لكلي قلمونات » ) كي تلهص

قلت لها -

« هل نعلمي رقم هاتفي ؟ »

« نعم . وأعرف أين أجدك فلا تقلق . »

ثم تولتني قصاصة صغيرة من الورق لا بد أنها  
من طرف جريدة ، وجدت عليها عنوان بيت أهلها  
ورقم الهاتف . طبقاً كانت هناك ورقة أخرى عليها  
هاتف ( مختار ) ورقم هاتفه .

البيت كان في القاهرة ، في حي شعبي مزدهم  
 تحته مقهى يتبادل رواده المصباح والبساق وقروح  
 أحجار الطويلة بطريقة توحى بالانتماء .. وكان  
 هناك متجر نشط في الفول والطصية ، وأرض خالية  
 في مواجهته تغدها سكرى سيارت مكشاً يمارس  
 فيه هواية الدق لا بد أن صاحبها كان أصم إن  
 حين تحدث عن (بيت هادي) . لقد جعلتني كلمته  
 أشد ميلاً هائلة في (جروس سيتي) لو (الملك) ..  
 على أن عني وقت في الأرض الفضاء على  
 سيارة (نصر) لا تخص سكرى . إنها سيارة  
 (مختار) على الأرجح ..

في رغبة اتجهت إلى العطل لم يكن هناك  
 بوب . وقدرج كان نظيفاً تلوح فيه رائحة مطهر  
 قوي

أصعد مرهقاً ولا يلوئتي أن لاحظ لي البيت خال  
 تماماً بلا سكين . الزوجة قالت لي شيئاً عن هذا ،  
 وإن صاحب البيت لا يوجر بلقي كسكس . وكفت هذه  
 هي العادة في ذلك الزمن

على باب الشقة في الطابق الثالث وقفت لأهت  
 وأحس من عصبات صدري لقد صارت اللبحة  
 الصبرية شيئاً طبيعياً في عظمي إلى حد أنني لا أفهم  
 خوف يمارس الناس حياتهم دون الام في الصدر  
 لمة شيء على الأرض شيء ليس محبوب  
 فرحة ..

الحببت متوقفاً الأسوأ فلم أجده . هذه بعض  
 الكائنات تحوي خيزاً وشططاً خبر صار كتلة من  
 الحس وشطط لمست الفصل حالا . لمة ثلاث جرائد  
 يومية وأصبح من حالتها أن أحدهم لم يمسه

هادي طاق

لأنه لا جرم هناك ولا استجابة كذلك

هادي طاق ؟

بعض أكثر

« استأنا (مختار) ١٢ »

لا أتلقى رداً .. عندها أوشك على التراجع . لكن



عقلي لا يقتل بهذه السهولة رجل وحيد لا يرد +  
جرائد لم يقرأها احد + طعام لم يمس غلبا كان  
هناك من يجده ويضعه على الباب - ???

لا يحتاج الأمر إلا إلى راحة على ، ومجموعة من  
المطهرين - وكل المطهرين اسمهم (بطومسي) -  
تهشم الباب باكتافها ، ثم خبر في صفحة الحوائث

فكرت في الأمر مليا ، ثم وجدت أن نظرة واحدة  
لم تصدر لهذا - للزوجة قلت به لن يرد على -  
فماذا لو كان هذا صحيحا ؟

بحثت في جيبى عن المفتاح وبسسته في القفص  
كسوك ! الفتح على الفور كلما لم يدره الرجل من  
الداخل على الإطلاق ..

أخيرا رأيت فصالة هذا بيت عتيق جدا ليس  
سرحيا بالفقر ولا الثراء يمكن أن توجد في كل  
مكان في مصر وربع كان بيتك إذا لم تكن مليونيرا  
أو شحلا ..

على \* بالطبع لا لا توجد راحة إلا تلك المعتادة

في مكنى مطلق لا يفتح أبدا فقط أدخل وأصدر  
الارتعاب بالمقاعد وأنا أوصن قنءاء :  
- اعتاد (محتلر) !! -

هتما سيظهر الآن سيخرج من مكنى م غلبى  
فيلقن على . غذهب لن يحتمل قيسى الصدمة  
الزنى الخاطر فتلفت إلى الوراء ، وكان هذا مينا  
بالى بدت أفلق بحق إن الأركان التى لا يلفها  
قنءاء أكثر من اللازم هنا ..

لقت هناك غرفة وكنت أعرف أنه فى العرفة  
هذه ألباء لا يمكن تفسيره

خطوت مترددا إلى هناك ووقفت على الباب فظن  
أنى قد نزل .

هذ كان المشهد لا يصدق

\* \* \*

اللباب على الباب الباب على الجدران

يمكنك بصعوبة باللغة أن تعرف اللون الأصلى لهذا  
الجدال

الذباب على الأرض . الذباب فى الهواء

هذه حجرة لوم عادية جداً من حجرات لومنا  
حجرة من التى توضع فيها حقائب المظفر على خزقة  
الذباب . مع الصندوق الورقى المقوى الذى اشتروا  
فيه جهاز التليفزيون لابد أن خزنة الذباب تحوى  
كسوة الصيف وقد تم ترصيدها بالراص ( الفانغلاتين )  
المضادة للملثة

لكن الأرض كانت مغطاة بطب المبيدات الحشرية  
الطارئة على الأرجح

على الكومود بقايا وجبة التهم الذباب تصفها  
وهناك كومة من الكتب وثمة شرفة أغلق باب  
بالشيش والزجاج معا ولسحب وفتح طبعاً

الفراش مغطى بالذباب ، نكنك تستطيع أن ترى  
الجسد للرائد لوفه الذى تغطى بالذباب تقريباً رجل

قد انتف بالمعلاوات وأوشك على تغطية وجهه ذاته  
لولا أنه ترك بصيصاً للعينين .

وكل يتنفس

كنت أقرب وأنا لأحرك بدى ذات للعينين واليسار  
محولاً إبعاد تلك الحشرات الملحوح عسى ، وفى كل  
لحظة كنت أرتجف . هذه التجربة - بحل - من  
طرق فريد على تصام . إن أكف عن الدهشة بعد كل  
ما رأيت كالم الحياة تتحدثنى فى كل لحظة لحسب  
أنك خبرت كل شيء ؟ حسن .. سترى يا معلم !

سمعته يهيم من تحت الأغطية

== من ؟ من هنا ؟ التصرف فلامال لدى . أنت  
الجميع وقتك ..

وهو ما كان واضحا من دون تفسيرات غبية لو  
كنت لصد لبادرت بالفرار لدى رؤية هذا المشهد ،  
كلنى لست بهذا لأقدر من الذكاء طبعاً  
كنت بصوت مرتجف قليلاً

« إنا كنا نكثور (رفعت إسماعيل) . »

« أه أرجو أن تسامحني إن التظافة هنا ليست مما يتناسبك لاحظت أنك لم تأخذ موعداً من السكرتيرة . »

بيبي وبينك كل رد فعله غير متوقع .. وبالتالي ليس مما يريحني إنه لم يبد الكثير من الدهشة

تلولت ملاءة ورحلت أطرد بها تلك الحشرات .

إن الأمر غريب ، فكيفها بالتكيد ليست جرادة ليست بكثافة للجراد الذي يجعل الفلاحين لا يرون الشمس فقط يوحى الأمر بأن هناك كومة من القمامة هنا

قلت للرجل واك أنتجه إلى الشرفة لأعطي مزاجها .

« اسمع . لا أصرف فكرتك عن قناريه ، لكن لا يمكنك أن تبقى في هذا المكان . »

« أنت لا تفهم شيئاً هذه الحشرات تأتي حيث تكون لقد جربت كل شيء . تغيير المكان لن يجدي شيئاً . »

فتفتحت الشرفة وتصرب للنور إلى الداخل . كانت تطل على راقى خال لكنه نظيف . أما ما أثار رعيي فهو أن الشباب ثم يخرج كان يأتي من الخارج صاح كالمجنون .

« أطلق الزجاج يا أحمل ! أنت فقط تريد من أجدادنا هنا ؟ »

صحت كمجنون آخر

« كف من هذا أنت والزع هذه الأظفة .. لا بد من أن أصعب جداً .. »

وبصعية كلفت حتى حررت رأسه من الغطاء ثم بدأ بهذا قليلاً فحررت باقي جسده . كان رجلاً في الأربعين من العمر كما قال ، نحيلاً هزيلاً ينكره مرضى السرطان في مرأعته الأخيرة . وأدركت أنه لم يحق لحبته منذ أسبوع على الأقل ، وفي عييه نظرات مجنون لا كومة على هذا كثيراً .

كلفت عياني تفتنمن في جسده ، وسط أسراب

الذئب هذه ، عن موضع جرح متعفن غفرينا  
 شيء بسبب هذا كله كنت أعرف أنني لن أجد  
 فيها لأن راحة لرجل عافية جدًا .

قال وهو مستسلم في شيء من التهم :

.. لا تنع نصك (كان غورك تخطر) . ما من  
 طبيب لم يبحث عما تبحث عنه الآن ..

.. لتكون شاكراً أو خروست قليلاً .

سكت عناء ملتهمين تملأ كما قالت روحته ،  
 ووضع أن الذئب لم يرحم ملتحمتي عليه هذا  
 رجل يحتاج إلى المصلح في لفترة لا بأس بها .  
 أعرف أن هناك آمنت سرى بعد الانسلاخ ما هنا ،  
 أن أنتحدث عن مرض (التدويد) ، وهو ما يحدث  
 نفس بهاجمه قذيب بهذه الحرية

قلت له وأنا مستمر في الفحص .

.. لماذا لم تأخذ الجرقاد ولا القطيع من على

الذئب ؟



أحد من الدار رجلى فهو من الذئب مع يعرج كاد ياتى

من الخارج .

« لم أعد أستطيع القراءة . لما عن الطعام .  
فكيف أكل الآن ؟ ولماذا أكل ؟ لم يدخل جوفى منذ  
ثلاثة أيام إلا الماء . »

قلت له فى حرم وأنا أعيد تغذيته

« الهاتف أين الهاتف ؟ »

« ولماذا ( الهاتف أين الهاتف ) ؟ »

قلت فى صبر :

« سأطلب سيارة إسعاف لن نترك  
هكذا . لا بد من تأذيتك والعناية بهذه ... »

« لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !!  
لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب  
الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف  
ولا ستندم !! »

الطلق فى الصراخ مردداً هذه الكلمات فى رعب  
والغلات تسمين ، جعلت أشعر كأنما فجرت بركلى  
( إنت ) وغشيت تعسا فى جطة بصمت .

« لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !!  
لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب  
الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف  
ولا ستندم !! »

أصلى الرعب فقارت العرق مسرعاً ، فبدأت  
أصحه برنظم بالأرض لا بد أنه حاول أن يلحق به  
ببما هو لم يحرر فتميه من عملاء جيد . وهو  
ما يحدث لى كل يوم وأن لأصول إخوان المنبه  
الأمل

« هو د الهاتف فى الصلاة على ( التوفيقه ) .  
فمن المعتاد للأسر المتوسطة . طبع هو موضوع  
فى تبحر سلة من الخوص المجذور ، لأن ( فائق  
صحة ) تفعل شيئاً كهذا فى أعلامها .

« لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !!  
لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب  
الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف !! لا تطلب الإسعاف  
ولا ستندم !! »

أسمعه يعزى من داخل لفرفة ، ومن الواضح أنه  
أن يجد الوقت الكفى ليحلق من

.. « ألو الإسعاف ؟ لدينا رجل فى حال خطيرة  
فى ... »

هذا سمعت الصرخة

القيت بالسماعة وهرعت إلى العجزة .

كملت خالية إلا من حشود الفلب الحفزة قلى ثم  
تحدد وجهتها بعد .. كلما هى فقلت أهدا

وباب الشرفة مفتوح ..

رسالة بنفة مطهوعة لا تحتاج إلى مترجم

لقد جن الرجل تماماً .

\*\*\*

.. « هو لن يلتحق لكه سيذهب إذا جن . من  
يفترى ؟ »

\*\*\*



## ٤ - تخلص منها ..

قل لي ضابط الشرطة ونحن نقف وسط حاسوب  
قوسيني !

« صارت عدة لك ياكتور (رفعت) أن ياآحبر  
الأشخاص الذين ترورهم لحل مشكلهم ! »

كانت عربة الإسعاف تظلي بها الكليب ، حين  
كنت :

« ربما كنت أقترح حلولاً جذرية أكثر من اللازم !  
كن - بظم الله - أنني كنت دائماً حسن النية في كل  
مرة - وربما كن وجهي يبحث الاكتساب في  
بلوسهم .. من يرى ؟ »

صحك الرجل وأشعل الفظة تبع ، ثم نظر إلى  
المتراحمين شذراً وقال :

« على كل حال القصة هنا واضحة تماماً .. الكل

يجمع على أن الرجل صار تعريثاً لا يخرج أبداً،  
ولم زوجته هجرته، وشرهته تخلصت منه .. لو كنت  
طبيب نفسيًا نقلت في هذا أعراض الفصام .

« نكتك لحسن للحظ كنت كذلك . »

« إن الخيال يفسر كل شيء . لكنني سأكون شكراً  
لو جئت بها شيئاً لكذلك بشكل رسمي . »

هرزت كتفي في ضيق . التمريد من المسيت  
والجيمت .

لابأس .. لكني متأكد من أنني لن أكرر شيئاً  
أولاً لن أتكلم عن المفتاح لأن هذا يحقد الأسور  
ثانياً لن أتكلم عن الدياب لأنه لم يعد مباحة واحدة في  
شفة الرجل ولا حول جثته إن الموت قد حل  
مشكلته بشكل جذري ..

لكن لا لابد من الكلام عن المفتاح لو سألوني  
وإلا فإن الروجة - وهي من طرف لا يحفظ سرّاً -

سقول كل شيء . وعندما سيجد رجال الشرطة ثغرة  
لا تفسر بها في كلامي . ثغرة تسمح بدخول غير .

اسمى يوم عاصيب بالتأكد

\*\*\*

جلمة ممزلة بالقول الأسود في در أهلها،  
وعبائها متلفعتان كصرع بقرة حلوب، كان من  
فواضح أنها لم تكف عن البكاء منذ عرفت القبر

أخرجت المفتاح ووضعت أصمها، ثم مد صمت  
هويل بعد قليل فمست

« لما أسف . لم أستطع مساعدته . يعلم الله  
لكني حاولت . »

« تأخرنا أكثر من اللازم .. هذه هي المشكلة . »  
ومدت يدها فتنى خلقت لظهي الكفتة تمسك  
بمفتاح . وراحت تردد تلك العبارة في صبر  
« هل سأكون عنه ؟ »

- لا . قلت إنتى نكحت الباب .. ففتح لى الفيد  
ثم أكر راغيا فى تعقيد الأمور بالنسبة لك ولى .

جوارها كان لقيث ولجيين يمكن لى تراهما فى  
الكوبيس . ربما تراهما فى تلك الأقلام التى تنور  
حول حثالة القرصنة فى البحار . هذان - طيفا - كتا  
ولديها الصغيرين لا يمكن أن يحمل هذه الوجوه  
المرعبة المليئة بالشر والسهووبة والجشع الا  
الأطفال أما الرجل الأصعب الذى يفوقها بدقة فهو  
أبوها ، والرجل الآخر ذو الشارب الرفيع هو الخوف  
الذى يصل فى شيء ما . من التوضيح أنه مهم لى  
اعتداده بنفسه يفوق الحد

قلت للزوجة وهى تقرب منى قدح القهوة :

- ربما لو كنا أسرع قليلاً ولكن الأصغر  
بيد الله . ما كنا نغير شيئاً .

ولكن لهجتها كانت تقول بوضوح : لو أنك  
أسرعت قليلاً يا عمى لكنت أُنكحت الرجل ، ولكن حباً

عرق يدلا من لى أرى وجهك القبيح يا ليتك لى  
لقير الآن يدلا منه

وهو ما أغلظنى بصراحة . نمت مطالبا بالموت  
- لا من كل شيء كى يرمى أهله عنى

تحت الاخ التهم رفيع الشارب الذى هو أخوها  
قللا

- بعد هذه قتهامة المسأوية بالكنور ( راعت )  
مارتنا راغيبى فى معرفة وجهة نظرك ما سر هذه  
الحجة العربية ؟

كنت فى مرارة

- لو كنت أعرف لما كنا هنا . لا سوابق فى  
نطب ولا التمييز بقا - على قدر علمى - تعمى عن  
هالة مشبهة . هناك اشخاص يجنبون الفلار أو  
الكلام لكنى لم أسمع عن رجل يجذب القديس .

- وبهم توصى ؟

- لو كنت أعرف لأوصيت لكن القضية فى

رأى التفت تملأ هذا الغزل ظهر فجاء وتواري  
فجاء ولا اعتقد أننا سنجد له تفسيراً أبداً هذا  
بالطبع لو كان الفقيه قد حكم كل شيء ربما هناك  
تجربة لا يريد أن يحكى عنها .

قلت المرأة في غيظ غبي

- « أية تجربة ؟ روجى رجل نظيف بلا تجارب  
ثم يقن بالقصة شيء .. »

كنت أعرف أنها ستقول الشيء ذاته . بالنسبة  
لها لا بد من أن تكون التجربة مرة ، وإلا فلماذا هي  
تجربة إذن ؟

التفت من القهوة فتى كنت متفهمة الصنع . لكن  
ظروف الجلسة جعلتها أسوأ ما شيريت في حياتي .  
ولهفت شاكراً مغزياً معتبراً متعجلاً مرتبكاً .  
- « هل يمكن الاتصال بك في أي وقت ؟ »

- « الحظيفة أننى ممتلئ إلى الولايات المتحدة في  
نهاية هذا الأسبوع سابقى هناك عشرة أيام . »

تقد تركت في نفوسهم تطبعاً لا بأس به باتهام  
القراءة . بينما هم تركوا في نفوسهم تطبعاً  
حقق . ولأن الانطباعات الأولى تلوم .

\* \* \*

عندما باتى المساء هذه الأيام لا تنثر لجوهر الليل  
سبب ما

كنت قد بدأت في إعداد العشاء لم يكن مفتوح  
الشهية إلى هذا الحد . لكنى كنت أعرف أنه لا شيء  
كأنطباع يمكنه أن يتقدس فوق المكروبات النفسية  
فيديريها ..

ماذا أقل الليلة ؟ لدى بعض المسجى في الثلاثة  
ولدى بعض البيض هل تقترح وجبة معينة ؟  
أحسنت ! إن من يفكر في طبق من المسجى بالبيض  
لهو شخص عبقري

كنت هي العطيف وقد بدأت رائحة الفلى الشهية  
تتصاعد . حين دق تلك الجهل فكرية الذى يضعونه  
في البيت ليدق

هرعت إلى الخارج لأرد، وببدا ملوثة بالدهون  
التكلمت السماعية بأطراف أصبعي محاولا ألا ألمسكه  
أكثر من اللازم

« هذا آه »

جاء صوت فتوى لم أتعرفه جيدا يقول

« مساء الخير يا دكتور ماذا نلعه الآن ؟ »

للعظة كدت أرد ثم لطفت إلى أن هذه معاكسة  
وقعة هي الأرجح ، فقلت في حرم

« من المثلث ؟ »

« أنا (مسيرة عبد القلبي) يا دكتور كم تتعرف

صوتي بعد ؟ كنت أحسبك أنكى من هذا »

ولكاد أقسم إلى صوتها لم يخل من شقاوة أو  
دلال من التعبير أن أتصور أن هذه السيدة التي  
توفي زوجها وكنت نيكى عليه ظهرا ، تتصل الآن  
لتتسلى على أو معي بالإصافة إلى أن سحري  
لأرجو أني لم يبيع هذا المقدور بعد إما أنها جنت أو  
هناك مبر مريب ..

فقت وأنا أحاول ألا تكون فظا .

« سيدتي هل من شيء عاجل هنا ؟ »

فقت في هدوء وقد استعالت بعض جدبتها

« لا أستطيع أن أتركك فاجت لم تؤنس في

شئ » لهذا أسدى لك تصيحتي القلبية حاورني

تحص من الميدالية التي تحتفظت بها المهم لي

جد بحق وأخذها دون أن يرتب في شيء ! »

فقلت كلماتها مليئة بالأخبر كل مقطع يحتاج

في سؤال منفرد وقد دار رأسي بلعقة وأنا أحاول

سحب ما سكته على راسي فها من أنكر سيلة

سكتها في إلحاح :

« لية ميدالية ؟ »

« التي أخذتها والتي كان المفتاح معلق بها .. »

طبعا لم يكن هذا صحيحا ، فقد أرجعت المفتاح

كما هو . ولعمت من هواة جمع الميداليات ، ولو

كنت كذلك قلنا - حتما - لست من هواة سركتها .

- « لم آخذها بامسيتي . اعتقد أنك لصعب  
بشكل ما . لو سألت الجالسين لقلوا قس وضعت  
المفتاح مطلقاً من المبدائية أمامك . »

قالت في صبر وبهجة من لا يوى أن يغير وجهة  
نظره :

- « على كل حال ، هي بلا قيمة بالنسبة لي ، لكن  
تذكر أنها مصدر التهاب لذى بطرك . »

- « لا يوجد التهاب بشارتي .. إني واهن البصر  
ولكن ليس إلى هذا الحد . »

- « سيأتي بامسدي . لا تقلق ! »

- « لكن المبدائية كانت معك ولم تجلب لك  
خطراً ما . »

قالت في تلك صبر باعتبارها لم تر لهذا بهذا  
القباه

- « لأنني حين أخذتها من ( مختار ) كنت أعرف  
خطرها ( المرحوم ) لم يعرف .. ثم يعرف

لا بعد قوت الأوان وبعد أن صار التخلص منها  
بلا جوى . لقد حاولت أن أساعده بأن أعطوك فيها  
على هذا لم يحدث فرقاً إلا أن صار عليك أن تعطيه  
شخص لا يشك في شيء . »

كانت أسئلتى تتلاحق إلى حد أنها تهشم بعضها  
البعض عطشي لجلجة تبهض بسرعة جنونية  
فلا بد أن أجد على الحصول على بيضة سليمة واحدة  
لهذا لم أجد إلا أن أقول :

- « أشكرك على هذه الرغبة الملحة في إيذاي  
ربما كنت جاهلاً أو غيباً ، لكنني لا أذكر أن أحدًا حاول  
قسي لهذا السبب .. كما أنني كنت صادقاً في محاولتي  
للمساعدة . »

ولم تلت ريتي ، وأضفت .

- « ما دامت هذه لحظة الحقيقة إنني لأعلم أن  
زوجك مجنون وأنت لا تقبلين عليه جنونا فيما  
نظن .. أوصيت بك للفقير قصبتك مجرد بلهاء خاوية  
الفعل ، والآن أجد أن زوجك أجد الاختيار حقاً . »





٦ - الآن نطالع بنى بالبحث عن اعطيه العبدية  
من جديد ..

تصرفها أنتى لكنها ما كنت لتجد من يقبل اخذ  
للميدالية طواعية .

لكن السؤال الأهم هنا هو هل الميدالية معنى  
حقاً ؟

نهضت فى الخزانة فخرجت كل سراويلي وستراتي  
كل ما به جيب يمكن ان توصع فيه هذه الميدالية .  
وبحثت بعناية بالطبع لا وجود لها ففتشت كل  
المطابخ المصرية فى دارى التى تصنع فيها الأشياء كى  
لا تصنع . ثم تنسى تماماً بعد ان وصفت وجدت  
عشرين خيطاً اختلطت به كى (اجده عندما احتاج  
اليه ) وبالطبع كان لا يظهر ابدأ عندما احتاج اليه  
وجدت إبصلايت كهرباء وهاتف .. وجدت صورة  
نساء بهاء لم أره فى حياتى كتبت على ظهرها  
إلى حبى الأوحيد (رف رف) وجدت كل شيء  
ممكن ما عدا تلك الميدالية

ما الذى يدعو المرأة للاعتقاد بأننى أخدمها ؟

الجواب (فرويدى) بسيط جداً لأنها أرادت ذلك  
(هى) لأنها أرادت ذلك .. بينما معها (الآن الطيب)  
لتنى هى الضمير . وهكذا كل الرجل الوحيد لعقد  
صحيح بين (اللى) و (الآن الطيب) هو أن تصنع  
لميدالية وتنسى مكتبها . ثم تحسبها عدوى هكذا  
حفظت رغبتها فى الإبداء ورغبتها فى عدم الإبداء  
معاً

الآن أجبت عن السؤال الأول . هل الميدالية معنى ؟  
لا ليست معنى

السؤال الثانى هو ماذا يدعو المرأة إلى الاعتقاد  
بأن العبدية يجب قلبها ؟ هل هذا صحيح ؟

يجب ان أستجوبها بدقة يجب

لقد بدأت هذه القصة تنير اهتمامى بحق

\*\*\*

## 5- ري دي موسكاس ..

( هذا الجزء ليس من مذكرات هـ . وهذا لكس  
استخدمه فيما بعد )

من جديد تكوي العلفات .

المشكلة في هذه الخراب فك لا تعرف أبدا من  
ابن يأس الرصاص وتموت فقط تنحس وتمرغ  
رسك في الغراب إلى أن تصمت الصوصاء . لحسن  
الحظ في هناك الكثير من هذه الخراب هنا كل  
جدار يصلح للاختفاء وراءه . وكل جدار هو حصن  
في هذا ذاته .

من الذي يطلق الرصاص ؟ لا تعرف عامة يتم  
تقسيم الفريقين إلى ( اختيار ) و ( استمرار ) وكما  
يقولون في الأفلام : نحن الأممخاص الطيبون هذا  
يلخص كل شيء .

لدي بندق الرصاص هذه المرة هم الأشرار  
تعدا يظنون ؟ لأنهم يعتبروننا نحن الأشرار وهو  
سوء فهم . لكن لا يمكن التغلب عليه لأن الرصاص  
هو القوية هنا .

طبعا لا داعي لأن نقول إن الرجسين كانوا بجهلان  
كل شيء تعاف عن هذه المواقف الفلسفية . كان  
يتصرف بطوية وبالفريرة لا أكثر . محاولة النجاة  
بالحية . محاولة البحث عن الطعام .

هنا لا يعرف كيف ولماذا جاء هذا ولا يعرف  
هدف هذا كله . ولا يمكن أن نمل في الغد كل  
ما يعرفه هو تلك للمحاولة البطولية من أجل الحفاظ  
على حياتيهما وهي محاولة شبه مستحيلة طبعا

كلما فلاحيس بسيطين الأول هو ( شعبين  
التكوي ) شعب في التاسعة عشرة من عمره من  
المتوقية . ومن الواضح أنه قوى الجسد أو كان  
كذلك قبل أن يفك للجوع بتكوينه العضلي ، ويبدو أن  
الفقران الصحراوية ليست سعيدة جدا

الأخر هو (عبد أبو قراح) من (التنجيت) وصعته سبعة حقا ، لأنه كان يعاقب عند فترة من نوبة الفلاح المصري قتي نظرده منذ عهد الفرعية البلهارسب قتي جعلت طحالته ينصفه وبطنه يتضخم ، وهو ما كان جسده قدرا على مقاومته في شديدة ، إلى حد أن الطبيب لم ير ما يسهه من الاشتراك في الحملة . لكنه ما إلى جاء إلى هذا الهند الكريه ، وجرب الجوع وامرأب شديدة شتى ، حتى فقد جسده السيطرة واعلمت البلهارسبا أنها الرئيس هنا

كان (عبد) متزوجا وكان لديه طفلان لا يعرف شيب عنهما منذ عشرين . لكنه كان يعرف شيئا واحدا على وجه اليقين . فهما قد صارا يتبعين بالليل ما بقي هو بعض الإصاكت قتي أن تغير شيب ولن تحدث تأثيرا يذكر

واعتصر بدقيته في مودة

كانت في حرامه بعض طلعت كما أن (المويكي)

من حالة طيبة لكنه لم يكن يسوى القتل أكثر من متعب ولا يريد إلا أن يترك أموت

ب (شعب) فكانت طنقة قد بدت مد رمي ، كنه كن يحتفظ بلبنقة لاستعمالها كرمح ، كما أن مظهره كان يشير دعر الفلاحين

كانت الشمس تتوسط للسماء ، والذباب يطن في كل موضع من هذه الخراف

هذا هرم هرم عتيق تغطي الرمال لكثرة . وهما لم يكونا يعرفان الهرم في مصر لأن أحدهما لم يمارس قرينه قط ، ولم يكونا يعرفان القراءة لهذا يدا بهما تمشهد غريب لكن تصادج العمرين هي كن مكن من حوبهما كانت تقوى إلى حصرة غريبة قامت هنا مد رمي (مصاديق) لا يد أن المكان يعج بهم

وقد (عبد) لصاحبه وهو ينظر حوله

.. قنصية الأخرى من هـ يمكننا أن نجلس هناك ربما نجد بعض الظل كذلك

نظر له (شعيل) بوجه كالج منهك حاول أن  
يتكلم فم يستطع لأن لسانه كل قد جف ثمنا  
وهكذا مشى الرجال عبر الرمال الحارقة يأتقدم لم  
تعد فيها اهدية لقد سرفوا الاحذية منهما منذ  
اسبوع ، ولو حاولوا استردادها نعرقهما افلاحتون

\*\*\*

ها نتوقف كي نضع بعض النقاط على الحروف

نحن في المكسيك في العام ١٩٥٢ لابد انكم  
خستم هذا حين . أيتم شكل الهرم وشكل الحراقب  
القديمة الأهرام التي تبدو منحرفة من ناحية بينما  
هناك درجات سلم من الناحية الأخرى نعم هذه  
هي المكسيك ونحن في قلب حضارة المايا التي سالت  
الهلاك من العام 900م حتى القرن السادس عشر حين  
بدأ الأسبان يهيون حكامين لكثير من المرح لسكن  
هذه البلاد الأسطوريين ...

وكم نعرف ثم بعد المايا في يومنا هذا إلا مجرد  
قلائد بسطة لم يتخلوا عن كثير من عاداتهم

المنطقة التي نحن فيها تدعى شبه جزيرة  
(يوكاتين) وهي من المواضع التي ترك فيها المايا  
شروع بقوة . ومن هذه الأماكن (بالتيك)  
(واوكسكال) و (تيكال)

ولكي نلهم تفاصيل ما يحدث أمامنا ، لابد من أن  
نحن بشيء من التاريخ

لتاريخ المكسيكي معقد جداً ، وبالطبع لا يمكن أن  
نحصى الوقت في دراسته كل رقعة في الأرض لها  
كتب تاريخ وأبطال ومعارك ، بحيث يصير من  
المستحيل أن تم بهذا كله ، إن ما يلزم من التاريخ  
المكسيكي هو بالضبط ما نريده لهم ما يحدث هـ .

على كل حال يمكن تلخيص التاريخ المكسيكي كله  
على أنه انقلابات ثورات ، فثقلات على الثورات  
ثم ثورات تطيح بالثقلات مع صراع حدودي  
مزمع مع الولايات المتحدة تتجح فيه الولايات  
المتحدة - كالعلة - في استراة قطعة من شمال  
المكسيك في كل مرة وهكذا وصلت (أريزون)

و {تكميس} و {كولورادو} و {نيفادا} و {يوتا} .  
بهذا تحول جنوب المكسيك إلى شماله بمعجزة ما !

في تلك الأعوام برز شاعر مكسيكي مهم اسمه  
(بابلو غواريد) تذكر الاسم فهو من الأسماء  
التي قد نقابلها من حين لآخر في قراءتك .. وقد  
تولى الحكم لفترة إلى أن دخلت الجيوش الفرنسية  
التي كان يحكمها (نابليون الثالث) (مكسيكو سيتي)  
عام 1862 . طار الرجل وأتبعه وقامت الحكومة التي  
تولت بالتصليب (ماكسيميليان) إمبراطورا للمكسيك

ما نخل هذا بقصتي ؟ يا أخي اصبر قليلاً .. كيف  
أكمل قصتي وأكملك في الوقت ذاته ؟

ظل الرجل يحكم مع زوجته قرية شخصية  
(كارلونا) لمدة عام ، ثم قررت فرنسا أن تخرج  
بلوتها من البلاد هكذا وجد (ماكسيميليان) نفسه  
في ورطة كيف يظل محتفظاً بحكمه وهو الآن  
صغار في وضع الحكومة الصيلة بالنسبة للثور ؟

كان عليه أن يجد جنوداً بأي شكل ومن أي مكان

هذا يثيري (سعيد) خديوي مصر بعرض خدماته .  
على أسس في الملوك يجب أن يتكاتفوا في كل  
مكان وهكذا يحكي لنا التاريخ قصة عجيبة عن  
الفلاحين المصريين الذين لا يقل عددهم عن عشرة  
لايف ، والذين أرسلهم الخديوي ليحاربوا من أجل  
تثبيت حكم الإمبراطور النمساوي (ماكسيميليان) ضد  
عدائه الثور !!

كان الفلاح المصري مثلاً دائماً عبر التاريخ ،  
ولا يكلف شيئاً ولا يسأل عن مصيره ، لأن الألف  
هناك في حفر القنطرة في ذلك الزمن ، وهم عاجزون  
عن الاحتجاج . والآن ورغم الفلاح المصري على  
الذهاب إلى المكسيك للدفاع عن الحكومة المحافظة  
على سبيل المعجزة لا أكثر ! طبعاً بلا اجر ولا حد  
ولا عنة ..

(٥) خطبة وقد أوردتها الأستاذة (محمد حسين هادي) في كتابه

(من سطورك في كابل)



وهذا يمكن أن نلهم أن (شعنان) و (عيد) كتب  
من هؤلاء القضاة الذين وجدوا أنفسهم في حرب  
قاسية في بلد غريب

لكن النضاع ضد حقائق التاريخ كان صعباً ،  
وسرعان ما تقدمت جيوش الثوار إلى (مكسيكو  
سينتي) ، بقيادة الجنرال (بورغاريو ديلا) تم  
احتلال (مكسيمينين) وحكم محكمة عسكرية  
واضمة ..

وطيف لا يذكر التاريخ حرفاً واحداً عن هؤلاء  
الفلاحين المصريين لشدة آلام الذين هزموا . هل  
ماتوا جميعاً ؟ هل هناك من أفر ؟ لأشياء

نكتف الآن لملك مربية أن نرى اثنين من هؤلاء  
الفارين وهما يواجهان لحظات قاسية .

\* \* \*

كان الفلاح المكسيكي مسلحاً بطبعه .

بهذا لم يود الهاربين لكنه تم بقتل لهما أي عوس ،

وهو يعرف أن الجنرال (ديلا) آت ، ولم يوف يعرف  
ية قرى أمتت العين للجنود المصريين ، الذين هم  
لا - برغم إرهابهم - جنود (مكسيميليان) ، لهذا  
صفنا هذين الفلاحين الهائمين القادمين من ريف  
مصر في القرن التاسع عشر ، لا يعرفان القراءة  
ولا الكتابة ولا كلمة إسبانية واحدة ، لأننا لن نلهم  
تلهما في ورطة حقيقية .

كما سمعنا كلمة واحدة بلولها الفلاحون  
المكسيكون الطائفون الذين يظنون وجوههم بطبعات  
الفن .

« روى لي موسكاس »

فكأن الرجلان ينظران لهؤلاء . ثم يقرران أنه  
لا جدوى من هذا المكمل ويقرران إلى موضع آخر .

نكريات القوس والتبيل وضاعة القرية الجميلة لسعراء ،  
والزوجة والولد والممجد المجاور للقرعة . كلها  
تبسو شيئاً بعيداً غريب حين تجد نفسك تلهف في  
صحراء المكسيك هارباً من قوات (خواريز) !

« ري دي موسكس !! »

وليتك تعرف معنى هذه العبارة .. لكن المترجمين  
ترب لا يملكه قمره حين يريد

تغيراً هذا يمثلان الآن في شبه جزيرة (يوكتين)  
في أطلال مدينة (المايا) القمامة المعروفة باسم  
(تولوم) لا يعرفان هذا لا يعرفان كذلك أن هذه  
المدينة بنيت في القرن الثالث عشر لكن ذلك  
المبنى الضيق الواقع هناك معروف لنا على الأقل .  
إن اسمه معبد (فريسكو وكاستيلو) . وهو من  
الأثار المهمة جداً هنا .  
هذا سمعاً صوتاً من بعد يصيح .

« لوس دوس سولاهوس إيجيبسيوس إستان إن  
لاي روناسي ! »

وراح الصدى يردد هذه العبارة مراراً

لم يلحظا ما يقال لهما عرفا على الأقل أن هناك  
من يعرف أنهما هذا وهذه التهمة عذائية عسكرية  
بلا شك فليس قمتكم من الفلاحين البسطاء .

قل (عبد) وهو يلهث ويتحسس يظنه المستفح

« لقد تعبت يا (شعالي) فليقلوا بنا ما يريسون  
سبل فقلونا الآن كم بعد يوم أو يومين »

قل (شعالي) بعينين لامعتين .

« لن يقتلوا » وسوف نراوهم داخل هذه  
قهران .. »

لا بد أن وسوس القوة كانت تطارده في مصر  
كثير من مرة لعب لعبة التخطيط أو تصارع مع  
لقره .

وبرغم أن حاله صر مزرباً لأن إرادة القتل لم  
تبرحه بعد يريد أن يثبت أنه (جدع)

« لوس دوس سولاهوس إيجيبسيوس إستان إن  
لاي روناسي ! »

الصوت يتردد في إلحاح

تغترد عليه أصوات تقوى عبارات غير واضحة  
لكنها تنتهي دوماً بـ

« ري دي موسكس !! »

يخرج الرجلان إلى دُخل المعبد .. لظلام والظلمة  
هذا الفصل من تشعشع الحارقة بالخارج .

هناك أشبه لا يجدها إلا هؤلاء الأشخاص الذين  
لا يرون شيء . ويمكنني أن أفترض اليوم أن قدم  
أحدهما تعثرت في حلقة تخرج من الأرض . وهذا  
خطرت بهما لفكرة ذاتها لماذا لا يشدان هذه  
الحلقة ؟ على الأرجح هناك غرفة سرية تحت  
قدميهما يختبئ فيها حتى ينصرف الجنود

لغلاً كما قرأنا ، وكانت الغرفة بالفعل ثمة  
درجات حجرية هابطة ، وثمة .

هنا حدث الشيء المتوقع

لقد انطلقت الفتحة فوق الراسين الخلفيين

وساء ظلام دلمس

لكنه ليس دلمساً جدياً

حين بدأت عيناها تعادبان الظلام قليلاً استطاع  
من يتركا أنهما في مقبرة على الأرجح ثمة أجساد  
مكتبة .. مستخيط كما يومئلي هما ، وموميوات كم  
مغرف نحن موميوات تجلس لقرقضاء مقراصة  
في صفوف ملاصقة للجدران كل مقبر (المليب)  
تتوكتا

لا بد أنهم لوتجفا ، ولا بد أنهم بدأ يمسلمان  
ويحولان وهم يتعمسان طريقهما إلى الداخل أكثر

هنا سمعا صوت للباب

باب باب كثير ملايين منه تحوم هنا وهناك  
وتصطدم بوجهيهما لم يكن هذا غريب في مقبرة ،  
وهما حشنان لا يهتمن بهذه العشرات كثيراً ، لكن  
ما لاحظناه هو أن هذه للجحافل غاصبة قنعارية  
قليلاً كلما ضلقتها أن يقتحم أحد خلوتها .

هناك صوء غلفت بأنى من مكان ما باللتأكيد  
هناك مصدر للصوء

.. تعال يا (عيد) لا بد من مخرج \*

مصدر الضوء كان قاعة في حجم صالة دارى لو  
كنت تبسكن فى منزل متسع .. وكان مصبوة  
مجموعة من المشاعل من اوقدها ؟ من بهى بها ؟  
لا يمكن معرفة الاجابة

لكن هذه الغرفة كانت المصدر الاساسى للذهب  
ملايين منه تحتشد على الجدران تحلق  
ترحب تقراوج تتر

والاهم هنا ان كل الذهب يأتى من مصدر واحد  
هذا المصدر هو تلك الجسم الجالس فى صدر القاعة  
متوجسب لقلهما بمضيق بلا تفكير كأنهما فى مله  
إثريقية ، يدنو الجسدين المتصلان من الجسد الذى  
لا تظهر معالمه من كل ما احتشد عليه من ذهب  
بالديهما الخشنة بفصان الذهب عن ذلك الجسد  
ليتيبنا من هو او ما هو

ها فقط دوت الصرخات

ها فقط عرفنا ما على تحت كل هذه الأسراب

\* \* \*



١٠ اجتمعت بهاتين شخصيات من حشد يدعى لا يظهر معانيه من كل



- « قصة الميدالية هذه . هل هي صحيحة ؟ »

« بنمت وقلت . »

- « هل وجدتها لديك ؟ »

- « بالطبع لا ، لست لص ميدانيات يا سيدتي لو كنت تفهمين ما أعنيه . لكنني راغب في معرفة كل شيء . »

« قلت في بساطة وهي نعت في عفتها لشجيرة »

- « لا يوجد ما تعرفه سوى ما قلته لك . كنت أكذب عليك حين جلست طلبة العون الحقيقية في كنت قد كويت فكرة عن الموقف بالتفصيل ولم يبق لي إلا الخلاص من الميدالية . »

- « كان بوسعك أن تعطيها لأي واحد . »

- « أودى إحصاء بريدا ؟ ما كنت أحسبك بهذه الفسوة ! »

« هنا صعد الدم إلى رأسي ، ولا بد أن فكنا صغيرا »

« نيت هتلك على جيتهى حيث كان الوريد الذى يتوسطها . وعلت بصوت هامس قُرب للصياح : »

- « صحيح . أنت لست بريدا . نسيت هذا ! »

- « أنت بريدا يعرف هذه الأشياء . هذا ما فكرت فيه . »

« نحتت شهبقا عميقا ونمالت اعصابى . لأسباب كئيدة لا يتزوج الأذكىاء مثلى »

- « من وضع في دهنك قصة الميدالية هذه ؟ »

- « أهل العلم نقد سالت بدهم . وقلت له في كل شيء بدأ بعد عيد ميلاد زوجي الأربعين . سألتني عن الهدايا التي تلقاها زوجي في عيد ميلاده ، فقلت له هذه الميدالية رخيصة الثمن تلقاها هدية من حشنة . أولى هدية تقدمها له منذ عشرة أعوام . لاحظ أن المرأة الشمطاء كانت ترعب في ترويضه ابتها قبل أن يغور بسا . ولفناء لم تتزوج حتى اليوم . لقد استحققت لقب عاتس منذ عشرة أعوام . »



هذا بدقت لكم :

- « إذن أنت تتخدين أن هذا عمل محروى عن تنكح به الأم لابنتها من العريس فهرب ومك . »
- « أنت تعرف هذه الأمور خيرا مني . »
- « ولم تسألني نفسك لحظة لماذا لم يحضر النقيب تلك المرأة ؟ »

- « لأنها كانت تعرف من البداية . هذه المديونة لا تعمل إلا مع شخص غافل عن ذلك . »
- حككت صلتي الغافلة مكرًا وسألتها :
- « تكلي الآن أعرف .. »

- « لم تكن تعرف حين قبلتها مني وحين سرقها تفطنت . »

- « من قال هذا الكلام الفارغ ؟ »

- « أهذا أعلم كما قلت .. هم يعرفون هذه الأشياء . »

- « ولماذا لم تلق حتى الآن الزبون السابق لخالة زوجك ؟ لابد أن هناك شخصًا ما حاصره النقيب قبل هو ؟ »

- « علمي علمك . لكن زوجي أخذ منها للمديونية وعنى وتعب . وحين أخذتها منه أخيرًا وقدمتها لك كان الوقت قد فات . »

رحت أفكر في كلامها قصة معقدة جدًا، لكنها لا تخلو من إحكام . ومعنى كلامها أن عليّ أن أجد ابنه يقبل المديونية مني دون شك . هذا بالطبع ما لم يكن موثقًا بالنقيب ..

لكن من قال إن المديونية معي ؟؟

الغريب في التفكير المصيف غير المطلق هو أنه مُعد . سرعان ما تجد نفسك تفكر بالطريقة ذاتها أفكر مثلاً أنني كنت ألتحق في طفولتي لطفلة (رقم) بشكلها الصحيح أي يتسكن القلب . حتى وجدت نفسي ومسط آسفين يصرون على فتح القلب وسرعان ما وجدت أنني أفتح ثقاتي بدوري أمس

سمعت متبع نشرة يقرؤها بتسكين لقلب غلغلت  
لكني لهذا الخطأ !

حيث السيدة ووعدها أن تفكر في الأمر ، ثم  
لتصرفت ..

\*\*\*

موعد الغداء . لن أنتهي لهذا من هذا القهم  
المقيم . ينتهي الإططار فخطرا مشكلة الغداء . ينتهي  
لغذاء فيكون المسزال : ما الغشاء ؟ لعل لقاس  
يتزوجون في يحنوا من يزيح عنهم هذا القعب  
هذا من الأشماء التي تجعل السار المرتقب في  
أمريكا محبب للنفس . إن تغير الروتين المطلوب  
دائما

إما أن تذهب الآن إلى المطعم القريب وإما أن  
ألقى شيد بسرعة . كانت هناك علبة تشوجة  
لخشي من أكلها من فرط ملوحتها . ارتفاع ضغط  
فازف مشي . هذا أقل ما يمكن . لكنها الحل الوحيد  
الآن .

تنبأه سمجة . إنها تلاحتني تقني تحولت إلى  
قطعة سكر قجاة .

لفتح علبة الأنشوجة . في علم الأمراض يطلقون  
على خراج الكبد الأميبي اسم ( منظر صنصة  
الأنشوجة ) . وهو تشبيه طبي شاعري أحر مثل  
( منظر مربي القطم ) و ( منظر القهوة باللب )  
دعك من منظر ( إسبال حساء الفاصوليا ) تلك  
التشبيهات التي لا تشجع الشهية كثيرا . وهذا  
ما يسمونه ( علم لمرض الاطعمة الجاهزة  
DELICATESSEN PATHOLOGY ) ، فلا بد أن الأطباء  
الأوائل كانت معذرتهم من حديد

تنبأه أخرى . غريب هذا . وتنبأه ثالثة .

لا اعتقد أن هناك ما يجذب الذباب في المطبخ ،  
لكن الطقس ليس مائما لهذا للرحم كله

كنت يتمسخين رغيف خبز من الثلجة وجلست  
لأكل . كنت في الصلابة لأمكن من متابعة التلفزيون  
في أثناء الطعام كما تعودت

أخيراً بلغ منى الصام مبالغه فاقجهت إلى الحمام  
ولحضرت علية العبيد إياه . وصغطت على استلقى  
وأطلقت دفعة لا بأس بها على المائدة وعلى  
الأشوجة وعلى كل شيء . لو علمت الذنب فقط  
فهذا نصر ، ولو تسمعا ومثما مغالطة فسترحت .

ثم عدت لأوصل الأكل إلى العبيد بعطيه مدافعا  
محبيا ولكن

ذهبة أخرى !

هنا فقط بدأت أتوتر .. وشعرت بالشعر ينتصب  
على جانبي رأسي

ما مضى هذا ؟ هل يضى

\*\*\*

تأملت من خلوي غرفة النوم من النياب وأطلقت  
نوم عبق . كنت لنفسي إني قد أصبح صليحا  
لاجد نتي في وضع مثير للشفقة ، أو يتصح أن الأمر

كله نوع من (فتح القلب) في كلمة (رقم) لقد  
أصبحتي للزوجة بالعنوى ، ولكن كان ما أصاب  
رواجها حقيقيا فهو ليس بالضرورة مديا .

لكني تمت برغم كل شيء . ولدت جيدا

فتحت عيني في الصباح لأجد أن الوضع لم يتحول  
إلى كابوس . ثلاث أو أربع ذبابات في غرفة النوم  
ليست مما يثير القلق ولو أنني لم ألقهم بعد من أين  
كنت

لكني لا تأهيت للذهاب للعمل لركت أن الأمر جد  
غريب

لا يوجد إيمان بحوم النياب حوله لمب آتجه  
لمكن .. (لا لو كان هذا الرجل مجروحا حيا ..

أنتم تعرفون تلك الكومة من القمامة الموجودة  
- كنصب تكرار - قرب منخل مستشاقا لقد  
مررت جوارها للحظة . هنا حدث شيء غريب . لقد  
بدأ النياب يتخلى عن القمامة وبدأ يحوم حول رأسي  
ويطلق بثلي .

لقد صارت الظاهرة رسمية إذن من الصعب في  
إظهار بالعكس ..

بالطبع لم أستطع التركيز في على على الإطلاق .  
لأن أذني كانتا تطنان ، وكنت أعدد عدد الذهب على  
مسطح د (رائت) الأبيض بينما هو يكتمني في  
موصوع مهم . وظنيت من العسل أن يرش لفرفة  
بالسبب أكثر من مرة . كما لاحظت أن عنابر المرسى  
غيره ذهب أكثر من اللازم . وجعلني هذا عصبياً

الحقيقة أنني كنت أهمل الأمور الطرعية سريعاً  
استعدداً لسفري إلى أمريكا ، وكنت سعيدة بفكرة  
الفرار من غد لا أعرف حقيقة جيدة

ترى هل أحمل معي الذهب إلى هناك ؟ لا أعرف  
لكن هناك شيئاً لا بد من عمله قبل أن أسافر .

\*\*\*

« أريد المبدئية .. »

« ليست معي يادكتور (رفعت) . »

« وهي ليست معي .. »

« وليست معي . كنا لا أهتم بها حقاً . »

وسك صمت طويل على الهاتف . أنا أتمنى أن  
تقول بها إنها كاذبة أو مجنونة وهي تكتمني أن تقول  
لي أنني لأحق وأنها ترجو ألا أقصّل بها ثقبه . لقد  
قنعت علاقتها بهذه القصة بلأبد

حدثت أقول لها في صبر

« مذم (ميرة) . أعترف أن الذهب بدأ يتكاثر  
من حوشي . لا أعرف السبب لكن هناك حلاً واحداً  
لاؤمن به . أنت تعلمين أن الفريق يتعلق بنفسه  
لا بد من أن نجد هذه المبدئية بأي ثمن . »

« مستجدها عندك . فقط ابحث هل أو هنا . »

« لا توجد لدى مصلحة في إخطائها بأي شكل  
لست راقق المراج للعب دور قصصية الهستيرية . »  
قلت في إصرار وتعجب ، وكلّما رأيت ما يكفي من  
غباء قلنس :

« لا أقول لك لخفيتها عمدا . لربما أضعتها »

عنت فكر لي ضيق من الجنى أنها توس فيما  
مطلقا بأن الميكانية ليست عندها .. ومعنى هذا  
ببساطة وبحكم خبرتي بالنفس أن الميكانية عندها  
كلما كان الأمر خطأ كانوا على ثقة بلقمة بصحته .

نهاية تحوم من حولي . نهاية أخرى تتسلق  
سكرتي ..

يجب أن أجد تلك الميكانية يجب

\*\*\*

في المساء رحت أعد حقيبة ، ولقد بدا لي أن  
الذباب سيكون من الأشياء المهمة التي أخذها معي  
على مهبل الذكرى . ذباب الوطن قد لا أستطيع  
الابتعاد عنه ..

هنا نق جرس الهاتف فهرعت أرد متوجسا

كان هذا صوت السيدة (منيرة) تقول لي في  
شيء من الحرج

« .. (رفعت) أنا أسفة يبدو لك كنت  
محق »

« .. لنا محق أكثر الوقت للأسف . ولكن في أي  
شيء ؟ »

بعد دقائق صمت قالت :

« .. الميكانية عدى بالفعل لقد وجدتها في  
الثقة »

كد يصيبني ذلك النوع من فرشاء للنفس الذي  
يتفجع المرء للبكاء بعد اكتشاف براجه . وبصوت  
مختل صحت

« .. كم لك ؟ »

« .. أسفة صديقي لم أتمد أن أخفيها »

طيلة الوقت هي مرغمة على كل شيء مرغمة  
على (عطفي الميكانية لتخلص روجها . مرغمة على  
إصاعتها بربما أحترق أنا في قون القلق والجميل  
ها أنها مستنسى كل شيء عن هاتين المحاليتين بعد

دقيق ، وفي المحادثة العقلية سنقول لى إن ذكرتها  
حديثة ولا تنسى على الإطلاق

- « أنا قدام .. »

قالت فى حياصة

- « لا ترى إن كان الوقت مناسب أنت تعرف  
أنه بعد وفاة زوجي .. »

صحت مخصبا وقد ارتك صوتى على بلوغها دون  
ساعة .

- « اسمعنى .. ايسى الوالت مناسباً للتظاهر  
بالانحوسة .. لقد تغيرت هباتى جذرياً منذ فابلتك  
والمرحوم زوجك .. وكنت أنت سبب أكثر هذه  
المصائب لو صح ما نقولين .. وقد فطنت هذا كله  
عامدة لهذا أريد هذه المبدالية الآن .. ولا أبالي  
بأية هجج ثقلي . إننى مسافر فى الصباح .. »

ووضعت السماعة .

وفى الطريق الى دارها ( ككت ممي سيارة وقتها  
قبل حدث القرية فياد ) رحت الفكر فى غيظ إن

كمية الإيذاء فتى سببتها لى هذه المرأة لأعظم من  
إن تركها . تعطسى ميدالية تعرف - أو تعتقد -  
أنه تسبب لعة ما ثم تصيغها بيلاهة ثم حين  
تجدها تقرر فجأة أن تلعب دور المحافظة فتى تقدم  
نكرى زوجها ولا تسمح للأوغاد - مثلى - بزيارتها  
بعد العاشرة مساء وهى فى بيت أهلها وليسها  
تفتح رأسى لتدرك فى الفصل مصاحبة سرب من  
محلى ( ليتريك ) على إن أراه مرة أخرى  
بوجهه المتكرر المسمى المتظاهر بالوقار

فتح لى أخوها شديد الأهمية الباب وقبل أن أفتح  
فى فملى فى المصراع :

- « متيروoooooooooooo ( !! ) -

ثم ظهرت هى من الداخل متفاهرة بالتحفر  
والإرتباك الآن تتظاهر بأن لها سمعة وفتى اسىء  
لها لهذا منحت يدي دون كلام فوضعت فيها  
الميدالية دون كلام هى الأخرى

سألتها فى شتمنز وأنا ألب الدليل على

- « أين وجدتها ؟ »

نظرت إلى أسقل إلى حيث كان السقاج الصغير  
ابنها يرمقني في شك وكراهية وهو يرسم حركته  
قريبة بوجهه وقالت .

« كانت في حاجيات (سليح) لقد وجدها على  
الأرض واحتفظ بها . نكس أخاه الأكبر (حسن) عليه  
وأخبرني »

نظرت للطفل . طبعاً هذا شيء متوقع في هذه  
الأكبر العرجة . إن لدهش لو كان القيد بفصل  
صعبة الذهاب على صعبة هؤلاء . كل هذا ويتكلم  
ص حبة هائلة و « لقد نلت قفراً من كل سمرة  
الكون » . إلى الناس أحواف غريبة

المهم أنني غدت المكن والبيدنية في جيبس ،  
وقلت ظلمسي على الأقل أنا لمسك يمس يمكن أن  
يكون السبب . هذا هو الخط الوحيد لدى .

سأناظر وأحلم في الذهاب . ولدي عودتي سيكون  
لدي وقت كاف للتفكير في هذه

\*\*\*

## 7- قارة أخرى ..

كنت لمشكلة أكل في جامعة (بغداد) (لكنس)  
لا أرى إن كان على أن أتكم عن هذه الجامعة  
المرقعة ، فارتكب الخطأ الشائع لدى (سومرست  
موم) في قصصه . حين كان يتكلم عن أماكن  
وشخصيات لن يكون لها أي نور في القصة بعد  
ذلك . حسن . يمكن القول إن جامعة (بغداد)  
كانت مجرد مرحلة تمهيدية بما بعدها . لكني أنكر  
فقط للتسجيل أن هذه للجامعة عريقة تعود لعام  
1948 . ومركزها في (واكو) في (دالاس) قتي تقع  
في شمال شرق ولاية (تكساس)

إن (دالاس) مدينة كبيرة . هي ثانية للمدن في  
ولاية (تكساس) بعد (هوسطن) ، كما أنها ثامنة  
مدن الولايات المتحدة في ترتيب الحجم . وتتمتاز  
بعدد لا يلى به من الجامعات والمراكز الثقافية

لقد فرغت من عترافى الان يمكنى لى لموت  
مستريح لبال ؟

أقول من جديد إن المشكلة كانت كخف وطأة هنا

ربما كانت الإجابة على ان الذهب أقل ، وربما  
لا تلى تصرفات بحدرد بالغ . كنت أتعلمنى التقل على  
الأقدام ، وأطلق رجاء السيارة قلى أركبها ، وعلى  
المدق الذى أقم فيه ثم أفتح نافذة وحدة ، وهكذا ثم  
أر النور ولا الهواء تقرب لمدة ثلاثة أيام

قاعة المؤتمرات مكيلة موصدة قاعة الطعام  
مغلقة . وهى حياة لا تطلق لكن يمكن نعيمها لفترة  
قصيرة ..

ثم إلى ابتعت من زهدى للصينيات نوعا من  
الدهن الطارد للحشرات كلها ، ورائحته عطرية  
قليلة فحرصت على ان أدهن به كل ليزاء جسمى  
للمكشوفة الوجه واليدين .

ثم أكن خلف من اللبس لكن من النظرة  
الفضولية

وخطر لى نفسى خائف حقا من معرفة المدى الذى  
بلغته المشكلة لربما وصلت إلى الذروة فتنى  
لا يمكن تصحيحها .. ربما لو خرجت إلى الهواء  
لوجدت نفسى فى تلك المنظر المروع الذى رأيت به  
( مختار ) فى شقيقه

لا أريد ان أعرف لى الان

من بين كل الأهوال التى رأيتها وسأراها كان هذا  
أخطرها . إن حياتك وسط جحافل اليبس قلى تلف  
على كل شيء وتحويل حياتك جديما لأمر مروع  
حقا . أن تتحلى ببطء وأنت عاجز عن إيجاد حل  
لوما بعد قرأت لمخرج الرعب الكدى فقط ( ديليد  
كرونتيرج ) تعبدا رلى لى . إن أشد أهوال الرعب  
هى تلك المتعلقة بتحلل أجسادنا دتها

طبعاً لا يمكن أن أتى إلى الولايات المتحدة من  
دون أن أقصص بصديقى العتي ( هوى شيلدون ) فى  
( فلوريد ) . الذى كانت لى معه قصص لا بأس بها  
هذا قلى المنفع لى بدعرك بأبطال الإسلام



المستعدين للشجار و (الصوب) في أوبة لحظة .  
 وكما قلت ألف مرة من قبل إلى المواطن الأمريكي  
 نفسه شخص لطيف المعشر على الأرجح ، حاصر  
 قدالية يمكنك أن تحبه بسهولة لكن للأمريكيين  
 بعض العادات السيئة حين يحتشون مفا

تعالى لي أن أعم بوقت طيب واعتذر عن المجيء  
 الحقيقة أنني كنت في أسس حجة إلى صديق قديم  
 هذا .

\*\*\*

الشهيد البروفيسور الإسرائيلي (دافيد كيمميسكي)  
 من إلقاء محاضراته أنه رجل قصير القامة أصغر  
 لشكله له عيان ضيق قلبي سلطتان وحصله شعر  
 أسفل دقته من طراز (السكسوك) وأعترف بما  
 من دون تعصب ولا تحيز - أنني لم أقرأ حتى اليوم  
 بحث إسرائيلياً بارعا ، هناك يهود كثيرون مبدعون  
 لكن الصهيونية المتعصبين الذين يذهبون إلى فلسطين  
 ليدبحوا الأطفال ، هم على الأرجح بلا موهبة

إن كثرة الفكر والفن تفضل البقاء حيث هي في  
 أمريكا وأوروبا حيث فرص الحياة والكسب أفضل  
 بعضهم يكتفى بمعاملة الصهاينة بالمال أو التعاطف  
 المعسوف ، وبعضهم - مثل (أبيشائين) و (شابلن) -  
 استنكر فكرة إسرئيل ذاتها واتهمها بالتعصب  
 والجنون ..

بعد المحاصرة كان الرجل ينف وسط مجموعة من  
 مربيته يثرثر ويصيح .

صافحته في حرارة وهنأته على كل هذه العنصرية ،  
 وقدمت له نفسي :

- " بروفسور (ريفت إيزميل) . لست يهودية  
 بولندية لكن لست من أصول عربية لم أر إسرائيل  
 قط " .

- " هذا ليس ملامحك تبدو (عليهم) إلى حد  
 كبير - وهل تتكلم البولندية إذن ؟ " .

- " لا - كنت العربية والإنجليزية هما لغتا التخاطب  
 في بيتنا " .

ترتجف بنوره ولمسك الميدالية التي اشتريتها خالة  
(مختار) له لتكيد لزوجته ، ودمعت عيناه تأثراً ، ثم  
بسها في جيبه وقال

« سأحافظ عليها أبداً للعريس أعذك بذلك .. »

حيث أنه وابتعدت في وفقر

أخيراً تخلصت من الميدالية بطريقة خالية من  
الدماء . ولكن هل يخفى للذهاب بعد هذا ؟

\*\*\*

في قربة صباغاً صحت من النوم في القدي ،  
وقلت لنفسى :

« أنت لحيق .. للطفل المزعج الذي اعتقد أن  
اسمه كان (سامح) لقد أخذ الميدالية ولطفاها في  
هناجتيه . ولو كان موضوع الميدالية صحيحاً لزال  
الذهب عنك ليطارد الطفل ! »

نعم أنا لحيق .. ولن تخفى هذه اللعنة

\*\*\*

ثم جربنا الحديث إلى إسرائيل ، أراح يحكي لي عن  
تقدم العلوم بها ومدى للرقى الإنسانى الذى بلغته  
باعتبارها نوثة غربية وسط الشرق الأوسط . وأحدة  
من التخصر وسط صحراء بدوية قاحلة ..

كانت شفتاى ترجفان قههراً .. ورحلت لشرب  
كلامه شرباً

بعد ربع ساعة كان قد لعب من الثثرة ، فاستخفيت  
وطبعت على يافته ستورته قهلاً محبة واحترام .

« إلسى أحس فيك ( آرسل يزدانيل ) ذاتها .  
الأسطورة التى صارت بفضل رجال مثلك حليقة . »

ثم بيد مرتجفة حملاً أخرجت الميدالية من جيبى  
واقمتها له :

« لا أجد شيئاً أقدمه لك إلا هذه . إنها رخيصة  
اللمن عظيمة القيمة . هى آخر ما بقى من أسى بعد  
للمحرقة غسى (أوشفيتز) . لسوف تكون معك فى  
أمل . »

حين غارت الفندقي مجرياً للمشى الحر ، ابتعدت  
بضعة أمثال ، وكان العليلس حراً إلى حد كبير .  
لا غربة لي أن يكون الطقس صافياً ، لكن هذا  
لا يبرر أن أرى كل هذا الأدياب المرة ينظرون لي  
في دهشة . فتاة تنظر لي وتهز رأسها عتشان  
يتولاني عن الهمس وينظرون لي بعون ملوحة .

أظن لأجد أن نحو عشرين ذبابة - من المستحيل  
طبعاً أن نزعهم تلك عدتها - تحوم حولي وتتسلق  
ثيابي ، ولمشي على عويلتي الأغرب أن الكثير  
منها يأتي من أماكن لا أعرفها

ورجل شرطة زنجي يدنو مني في بطء لا يعرف  
هل هذه تهمة يمكن أن يعقلني بها أم لا . فخط يلف  
وينظر لي ونظرتي الحائرة ، ثم يمد يده نحوي :

« فورالك .. »

أخرجت له كل ما كان في جيبى ، فنظر إليها نظرة  
لا تعنى شيئاً ، وقال :

« سيدى لا أريد أن أكون وقحاً ، لكن ربما  
ألفك حمام سريع الآن ! »

هزرت رأسي في ارتباك ، واطلقت علاناً إلى  
الفندق

كنت أمشى بسرعة جعلت غيوم الأدياب حولي  
تتبدل إلى حد ما ..

وعلى سبب الفندقي رأيت ذلك البروفيسور  
( كيمنسكى ) وقف يثرثر مع فتاة حسناء لا يبدو أن  
ذبية واحدة تحوم حول هذا الوغد . رأتى فضم كففيه  
مقا ولوح في الهواء بهرج :

« الرمز ممي لا تطلق عليه ! »

صحت وقت أجد العمير ممي لا اضطر للتوقف :

« لا تتخل عنه أبداً . إن روح أمي تضاديك ! »

فما إن نجت حجرتي ، حتى بدأت عن مبيد  
الحشرات فلرغت كمية لا بأس بها في الهواء ،  
وأعنت دهن أطرافى بالدهان الذي يطرد الحشرات .

وارتميت على الفراش مفكراً  
إنه لما رقى مخيف ..

هل كذب على أن أمسى حتى وسط سحب مبد  
الحشرات حتى أموت بالسرطان ، أم أفضل وسط  
الذهاب ؟

إن فرضية المبدالية كانت خطأ وكان على أن  
توقع هذا من السيدة (منيرة) التي لا يمكن أن تقدم  
حلاً عبرة لأي شيء فقط هي بنت مجموعة  
من الاستنتاجات الخاطئة التي لا تغلو من ضربة  
النساء و (العمل) وفكرة الخلاص من البضة بنقلها  
لشخص آخر وهي فكرة مذبذبة في وجدنا  
لجميع الأسباب لهذه كان مرضى الطاعون في  
القرون الوسطى يقتحمون بيوت الأصحاء على  
أساس أن إصابة الأصحاء يمكن أن تنفيهم هم

فرضية المبدالية خطأ . إن لم يظننى الذئب ؟  
من أصبت بدوى ما ؟ وهل هناك مرض يسبب هذه  
الأعراض وقد أصبت به لدى زيارتي الرجل ؟

لا تفهم ..

حقاً أنا بحاجة إلى عقل آخر قبل أن أجن

\*\*\*

عند المسماة مساءً نرى جرس الهاتف في حجرتي .  
فرفعت الساعة

جاء صوت (البورتر) تقول لي بصوتها المهدب  
الرتيب :

.. د (إسماعيل) هناك مكالمة لك من  
(نيويورك) ..

ثم جاء الصوت يقول :

.. د (إسماعيل) أنا (سما) . (سما  
كوني) ..

(سما كوني) ؟ هذا الاسم له رنين يهودي غير  
مريح .. من هو ؟

هنا عد إلى شريط التذكيرات . ذلك القصاب اليهودي

الذى كان مسبب لفتاى بكتور (لوسيفر) - وهى  
ليست خدمة جميلة جداً كما تلاحظون - والذى  
جعلنى أصل فى عوالم (يو) الكيوسية . اليهودى  
المرتبك البائس الذى يذكرنى بدعيتك عن فقراء  
اليهود . فلا هو خبيث بحيث يملك الثروة والتنفوذ .  
ولا هو برىء . طاهر الدليل بحيث يستحق مكانه بين  
الأختيار

لكن أن يتصل بى هذا بالذات . هناك مضى مريب  
لهذا كله ..

- « مرحباً (كولبى) هل أهرت جراحة ابروسنتا  
بعد ؟ »

قال فى إلهك :

- « ليس بعد . لا أثنى بجراحي المسلك هنا  
لأن هذا ليس موضوعنا .. »

- « إننى أرتجف هلعاً من موضوعنا هذا .. »

- « إن فقط مكلف بإبلاغك بشىء مهم هناك

زميل مخلص - وإن كنت غريب الأطوار نوعاً -  
يدعى (جيمس موهون) . إنه راقب فى لقاءك ،  
ولا أعرف المسبب . ترى أن تستقبله جيداً وتصفى  
له بقتباء ، لأن غضبه ليس بالقوى . المحبيب  
للتفنى . ثم إنه رجل يعرف ما يريد .

فكرت للحظة . غريب الأطوار ؟ (كولبى) نفسه  
يرى هذا الرجل غريب الأطوار . طعى إلا انهض لو  
كان القاتم بثلاث صون لو يمشى على الجدران ..

- « هل اتصلت لهذا فقط ؟ ومن قال لك إننى لى  
قوابل ؟ وكيف عرفت فندق ؟ »

- « هو ؟ »

ثم وضع سماعة الهاتف

\*\*\*

بعد ساعة جاء (جيمس موهون) .

ومن النظرة الأولى عرفت أنه رجل مخيف حقاً ..

## 8- (موهون) يعرف..

اسمح لي أن أقدم لكم (جيمس موهون)

يمكنك أن ترى معي أنه رجل قارع القامة يرتدي قميص أسود وسترة سوداء وربطة عنق سوداء، فلا يحكر كل هذا السود إلا قلادة فضية ضخمة تنقلني على صدره له نظرات جادة ولحية منمقة تحيط بجمه على طراز (دوجلاس) كما يسميها الشباب وليس حذو أبيض شامق البهائم مما يتكبر بقتلة العالما في الثلاثينات فهو كان يحمل صندوق كمالى يضع فيه هندقية ألوية لاكتملت الصورة

وتوقعت في قبة محظنة أن يقول لي -

- « إن الأميرة تريك بينو لي (فنون) غصب .. »

للحقيقة أن فيه الكثير من د (موسيقر) لكى قد قابلت هذا الأخير كثيراً بحيث لا يمكن أن تحتفظ



يمكنك أن ترى معي أنه رجل قارع القامة يرتدي قميص أسود

الامور على . فإذا أضفنا المظهر العربي إلى اسم  
(موهون) العربي الذي لا يمكن أن يكون في شهادة  
ميلاد . إلى تقديم (كوليس) له . يمكن القول إن هذا  
الرجل ساحر أو مبدع أو شيء من هذا القبيل  
قال لي بلهجة تدل على أنه لم يكن جدًا -

« اعتقد بـ برولسور (إسماعيل) أن عندك فكرة  
عن قديمي .. »

كان صوته قويًا محبب . هناك أصوات تشعر أنها  
تؤكل ولا تسمع .

قلت له وأنا أؤكد من خلق الباب .

« واصلح أن (سام كوليس) صديق مشترك »

قال في هدوء :

« أـك (جيمس موهون) - لنقل إلى مهمته بالظواهر  
للخارقة للطبيعة .. »

« ومن ليس كذلك ؟ »

كنتها محاولاً إغشاء روح للدعابة . عطف لن يغيب  
عن ذهن القارئ أنني أضرت على أن يكون القاء  
في غرقتي بالتفندق . هذا هو المكان الوحيد الخالي  
من الذباب أو الذي أستطيع السيطرة على دخول  
الذباب إليه ..

قال الرجل :

« سأسمح لنفسي ببعض استنتاجات . أنت  
عاجز عن مغادرة الغرفة . أليس كذلك ؟ »

قلت في عجب :

« بلى .. ولكن ... »

« وسأسمح لنفسي بفترض أن الموضوع يتعلق  
بهجوم الذباب »

ها فقط بدأت أتوتر . جلست أمامه وفتحت فمى  
في بلاءة .. ها هو ذا السر العظيم يكشف قوس طبقات  
النظام الكئيبة المحيطة به . أنا متأكد من هذا

« لنفترض أن هذا صحيح إذن ؟ »

« اعتقد أنني أعرف مثلك . وبين كنت لا أزع  
قلني أعرف حلها .. »

\* \* \*

قال (موهون) .

« كنت طيبة حيقي مهتماً بأمر شعب (المايا)  
لأكون أكثر دقة كنت مهتماً بأسرارهم الغامضة  
وسحراهم .. ونحن نسألهم عن الكمبيك على  
كل حال الموطن الأصلي لهذه الشعب الباسل  
الغامض الذي بلغ ذروة حضارته في القرن السادس  
قبل الميلاد . »

« إن أساطير (المايا) كثيرة وأسرارهم لا تنتهي ،  
تتطلب الإمطة عن لثامها يوماً ما وهو ما لن  
يحدث على الأرجح

« إلا أن هناك أسطورة جذبت انتباهي بشكل ما  
تتعلق بـ (ملك الذئب) . أو (ري دي مومكس)

كما يقول القوم هناك بلغتهم الإسبانية طيفاً .  
أسطورة حديثة نسبياً هي

« هناك في شبه جزيرة (يوكاتين) توجد لطلال  
مدينة (المايا) للعظمى المعروفة باسم (تولوم) . إن  
إن تلك المبني العتيق المؤلف معروف للجميع . إن  
اسمه معبد (فريسيكو وكاستيللو) وهو من الآثار  
المهمة جداً في المكسيك . يقال إن ملك الذئب  
موجود هناك مدفون هناك لكن أين ؟ لا أحد  
يعرف

« إن ملك الذئب شخصية غامضة .. ربما كان  
ملكاً بالفعل ، وربما كان سحراً أو طبيباً ساحراً  
لا أحد يعرف بالضبط فقط نعرف أنه كان موجوداً  
منذ قرون عديدة ، وكان يمتلك قدرة غير عادية على  
السيطرة على جحافل الذئب تحوم حوله . تمثال  
لأمراء تهجم من يريد وكل غضب ملك الذئب  
يعنى أن يهجمك الذئب فلا يترك لك لحظة راحة  
واحدة إنه عقاب جهنمي لو فكرت في الأمر .  
عيناك تتجهل طعامك يفسد جلدك يتفقرح



فلا شيء إلا الموت القبيح ينتظرك بعد شهر أو  
أعوام ..

« إن ملك الذهب ساحر لكنه ليس خالداً ، وقد  
مات . لا عرف الطريقة التي استطاع بها القوم أن  
يدفوه تحت المعبد لكن من عرفه مكن قدس لم  
يقلوا أحباء طويلاً يبدو هذا قسباً لكن كانت هذه  
هي الطريقة الوحيدة كي لا يعرف أحد مكان القبر

« يؤمن القرويون حتى اليوم أن ملك ذهب يجنس  
هناك تطلوه تلك الأسراب الرهيبة .. ملايين منها  
وأن من يلقى راحته الأبدية يمل غضبه ويغرده  
الذهب في كل صوب متى بلغ الأربعين من العمر أو  
تجاوزها وليس الأربعين سبب مهم هو أن ملك  
الذهب لقي حنقه في من الأربعين

« اليوم يزور الناس المعبد وينتظنون شصور  
فيه . مكن القرويين - المسكين منهم خاصة -  
لا يجسمون على ذلك ويؤمنون أن الحظ قسرت  
سيجعل أحدهم يكتشف القبر عندما لن يستطيع  
أحد أن يتفده .

هنا قُطعت أرجل وقد بدا لي كل هذا القدر من  
المعلومات أكثر من أن أستطيع ابتلاعه دون أسئلة :

- « لحظة - القصة تبدو مألوفة لكن ماذا تقول  
عني أنا الذي لم أر المعبد في حياتي ؟ »

قال لي نوع من نقاد الصبر :

- « لا تعتقد أنني سألهي القصة دون أن أخبرك  
ما علاقتك بها . »

وعبر وصح سألته لتصير اليسرى على اليمين ..  
كل طرف الصروال يرتفع إلى منتصف ساقه فركبت  
فيه بليس حذاء طويل العلق يساعد في إصطاء طابع  
غربية هذا ..

واصل المرء :

- « لا أستطيع أن أزعج نفسي وسيط جيد لكن  
هناك أشياء غريبة تطردني منذ زمن . كان هناك  
من يفتنني في حالات المسبات ليتحدث معي .  
لا أعرف من هو لا أعرف حتى كيف يبدو . فقط

كنت لسمع بوجود غلام مبيض عقه الكلبوس ،  
وكان يتبادل معى الحديث . كنت أصرف طيلة الوقت  
أنه هو منك الذهاب بقصه

« عرفت منه الكثير عن الظلام عن قرون من  
الوحدة . عن الذهاب الصديق الذى لم يفارقه  
لحظة . عن الصمت . عن الموت . عن المدنسين

« نعم . كان هناك مدمنون . بالتحديد اثنين  
منهم . كانا من وطنك وكانا يحارب مع الإمبرطور  
الأخير فى حرب لا نفع فيها لهما ، بكلهما كانا  
مسخرين »

كملت هذه أول مرة أسمع فيها معلومة كهذه وقد  
بدت لى سخيفة جداً ، لأننى لم أقرأ لفصل الخامس  
طبعاً ، فقلت :

« هنا يتوقف . لم يحارب مصري واحد فى  
المسيك . هذا لا يتفق مع أبسط القواعد الجغرافية  
والخرائطية ! »

قال فى غلا كأنما يريد استكمال القصة مريفاً

« . كل هتك فلاح من وطنك عام ١٨٥٧ : أحدهما  
كتب عليه أن يموت بلا ثرية والآخر كان مصاباً  
بمرض عصبى . لكنه كان ثانياً . وقد دُفنا للغير عن  
طريق الخطأ لكن لعنة ملك الأديب لم تتركهما . لقد  
ماتا جوعاً أو قماً لو مختلفين تحت أظن الأديب  
لكن لعنة حنت بالذى له ثرية . وللعنة تحمل بالأكبر  
من أبنائه وأبناء أبنائه كلما بلغوا سن الأربعين . »  
ملت إلى الأمام فى شياء محاولاً فهم معنى هذا  
كته . فصحت فى نوع من القسوة وقل :

« هنا نجد نوعاً من الحظ العاثر فإين ملك الأديب  
لو ( الشىء ) إن الابن الأكبر للرجل يموت فى  
مصر فى سن الثلاثين . ثم يموت ابن الابن الأكبر  
فى السبعة والثلاثين . وهكذا كل الأحفاد كانوا  
يجبون ميكرأ ويموتون ميكرأ حتى ظهر لاستثناء  
الوحيد . رجل فى الأربعين من عمره يعيش فى  
مصر . لقد تحركت القطة اتى قنظرت ملقة عام  
وبدا الهول بحاصر الرجن .

« هنا لتدخل شخص م. بحماسة . وأنت حماسة إلى  
تعبين نهاية الرجل الذي جن وقتل نفسه . هكذا  
تحويت اللغة لتصيب ذلك الأحمق ، الذي معها من  
في تقتصر

« الأحمق الذي تدخل فيما لا يصح

« الأحمق الذي دفع الرجل من فوق حافة الحصون  
التي كان يمسك فوقها

« الأحمق الذي عرفت أنه الآن في الولايات هي  
هذا القليل بالذات وأن (كولبي) يعرفه .

« الأحمق الذي هو أنت بما جروهم  
(إسماعيل) »

\*\*\*

« لا تطلب الإسلاف !! لا تطلب الإسلاف !!

لا تطلب الإسلاف ولا تتقدم !! »

\*\*\*

« كل شيء يبدأ بعد عيد ميلاد زوجي الأربعين  
سأنتس عن الهدايا التي تلقاها زوجي في »

\*\*\*

سأنت (موهون) وقت ارتجل

« تريد القول إن (مختار) كان يدفع ثمن خطأ  
ارتكبه جد أنه علم 1867 ؟ وإني أدفع ثمن محاولتي  
إفقاذه ؟ »

« (مختار) ؟ هل كل هذا اسمه ؟ بالصبط  
كنت تلهمني جيداً . »

« ولولم أنتخل هل كانت اللغة ستصيب لمن  
(مختار) لو بلغ من الأربعين ؟ »

بذل وضع سابقه وقال في تودة

« لا أعرف هذا للجزء شامض . قطباغي  
هو أن اللغة تبدأ بالذهب لكنها لن تنتهي به .  
لا أرى حقاً . ربما كان (مختار) هو نهاية الحقة  
لولم تحطمها أنت »

حقاً هذه خسارة كبرى .. إن الوعد الصغير ابن  
(مختار) يستحق نهاية كهذه .

« أنا لم أحظ بها كلامك يوحى بأننى ألقعت  
الرجل بالانتحار . »

« ملك الديار يرى ذلك . وقد كف لا توجد  
محاكمات استئناف هنا لو كنت تلهم ما أعنيه . »  
هنا سألت أول سؤال أردت أن أوجهه لمنطسى  
التهذيب :

« وأنت ؟ ماذا تستفيد من إخبارى بهذا ؟ »

نظر لى فى حدة وقال :

« أنا مجبر على طاعته .. لا أخلص عليك ألى  
أخاف هذا الشيء كثيراً . هو طلب منى أن أطلبك  
وأن أخبرك بالمطلوب منك . »

« وما هو المطلوب منى ؟ »

« إنه يريد أن يراك ! »

♦ ♦ ♦

## 9- يجب أن تذهب ..

---

- « طلب لي يدعي ؟ »

- « نعم .. »

- « ذلك الشيء الذي يزورك ؟ »

- « نعم .. »

- « وهو في المكسيك الآن ؟ »

- « واضح أنك ذكي حقاً .. »

- « قلت بك لا تعرف مكانه .. »

- « لكنه يعرف مكانك .. »

- « ولماذا ؟ »

- « لا يهم أن تعرف أو أعرف .. المهم أنه هو

يعرف .. »

- « وماذا لو لم تذهب ؟ »

« لن يقومك أحد . نكك ستبقى حبيلا هذه  
الليلة حتى النهاية المبررة ، وصديقي لا اعتقد أنها  
بعيدة إلى هذا الحد ... »

\*\*\*

كانت بعض اللذات قد حدثت في الغرفة الأخرى  
من أين جاءت لاحظتها ولاحظها (موسون)  
لا تحاول أن لوحي بشيء لكنني أكنم أنه ارتجف نوعا  
وبدأ أكثر عصبية هذا الرجل يحتفظ ببعض امرته  
قلت له ياسم :

« لا تخف . هذا ثياب مبرلى عادي من طرقة  
(ماسك دومستينا) القويح . لا هو ثياب ملهى  
ولا (نصي نصي) ولا أي شيء . لقد خطر لي هذا  
كثيرا ، ونصبت دبابه فحصنها بالنطسة . »

هز رأسه وضمف :

« لا تستطيع أن تكون مثلكذا جدا . ولا تستطيع  
أن تكون حذرا أكثر مما يجب مهما حاولت . »

وكنت قلهمه . لهذا تشمر أن الأرض التي زحف  
عليها القنبان صارت ملوثة للأبد لهذا اعتقد القمام  
عندنا أن قبرص (يفتح ثناء) يهجم عن مرور البرص  
(بضمها) على جلدك . إن الخوف من القزولحف  
والحشرات هو قويا أخرى لا تفسير لها ، ولا تخضع  
للمنطق . فلما يلك إذا كان اللهب شيطانيا أصلا  
ملكك قزول وأنا أفكر في عبق .

« أنا لم أذهب إلى المكسك قط من قبل . »

« هذه فرصة جيدة لتجرب ولا تنس أنها على  
حدود هذه القوية أي أنك تستطيع السفر بالسيرة  
إذا أردت . سأرتب لك كل شيء . »  
« ولماذا ؟ »

« لأنه أمرني بهذا وأنا عما قلت لخشاء كثيرا . »

ثم يكن السفر تحت رعاية قتل قتلها هذا مما  
يظلم النفس . لكنه على الأقل شخص مألوف .  
الآن صار مثوقا .

كنت أعرف أنني سأسافر لأسبب هو أن قصته متكاملة منطقية حتى هذه اللحظة .. لا توجد ثغرات .. هذا يعنى أنه صادق .. ولذا فى ورطة حقيقية لا أعرف كيف أتخلص منها .. الآن قد يقدم لى هذا الرجل الحق أو يقربى منه فكيف أرفض ؟

« متى لأذهب إذن ؟ »

« غدا صباحا لو أردت .. »

\*\*\*

فى الصباح كنت أتجه إلى المكسيك الأمر الذى بد لى غريبا .. وتساءلت : ماذا لو لم تكن فى ( تكساس ) أصلا حين اتصل ذلك ( الشىء ) بـ ( موهون ) ؟ هل كان سيطلبلى بالمغفر من مصر إلى المكسيك خصيصا ؟ إذن هذا مسخ من الطراز الذى لا يحلون تصحيح وقتى أو جهدى لو سألنى .. لقد وجدتها فرصة مناسبة لى كى أتقبله ( بالمرّة ) مدمت هنا .. وتكالفة الرحلة لوست باعقبة على كل حال لأن المسافة قصيرة ..

ماذا أقول لكم عن المكسيك ؟

فى الحقيقة لم أرها .. تكون كاذبا لو كنت هذا .. لكنى اخترت أن أراها فى أعنف فترة من تاريخها الحديث .. وهو شىء معتاد بقنسية لى على كل حال .. كيف تتصور أن تروى المكسيك فى فترة هدوء أو استقرار ؟

لقد كتبت شوارع العاصمة فى ذلك الوقت ( لا بد أنه كفى عام 1960 إن ) تعج بمظاهرات الطلبة ضد فرانكو ( فيلر أورداز ) .. وعلى الأرجح كان هذا جزءا من ثورة الشباب فى العالم كله .. لأن أوروبا كانت تغلى بدورها فى هذه المنفوات للجسمه بالذات ..

وقد حاول سائق السيارة أن يشرح لى القصة لكنى لم أفهم .. كيف يبالي رجل لا يجرى على فتح زجاج سيارته خوفا من الذئب ، بل أن يعرف سبب ثورة الطلاب ؟

إن تطياحضا عن المكسيك يوما هو قنورات وقرجال الذين يلبسون قممات ( المسموميريو ) ويحتسون ( قنكولا ) ويقدفون القنابل طيلة اليوم ..

كان كل مكان متوتراً ، وفي كل ركن رجل أمن  
مستعد لإطلاق الرصاص دون مناقشة .. وقد استعنى  
الحظ ببرؤية مقاهرة كانت الشوارع فيها تشتمل  
تاراً ، ثم ظهرت قوت الشرطة على خيولها وراحت  
تطلق للرصاص في كل صوب . وبصعوبة استطاع  
سائق السيارة أن يبتعد بدهى شارع جاتس قبل أن  
تصيبها رصاصة ما ..

والأسباب لهذه كانت الألعاب الأولمبية التي أقيمت  
في (مكسيكو سيتي) عام 1968 أن تلقى ..

طلب انتهت هذه الاضطرابات عام 1976 بتولى  
(لويس إيفاريز) منصب رئيس الجمهورية ..

يجب أن أقول هنا إن هذه الاضطرابات كانت قسماً  
خارجياً لحافى الشخصية .. كانت أشهر بأن العالم  
ينتهي بالملل . قتال في الخارج وحرب ضروس في  
الدخل . كأنما الطبقة يتفخرون مطالبين بحل  
مشكلتي مع ملك أدبائه هذا .

مشكلتي الشخصية كانت تتعلق على كل شيء  
بحيث فقت أية قدرة لي على الملاحظة أو الاستنتاج ..

ويبدأ لي أنه لو تبخرت المكسيك كلها فالأمر لا يصح  
كثيراً ..

على كل حال كنت لطيفاً في الأساس عن البلد أنه  
كثير غثقي ويمكن بسهولة فهم محاولات  
المكسيكيين الفرار عبر الحدود إلى الحلم الملون بآهر  
الأكوي فواقع على حدودهم ، والمسمى بالولايات  
المتحدة .. كان الحدود هي سد يمنع فوضا لقوة من  
أن يسيل ليصر الجانب الجنوبي من الحدود أو يمنع  
فوضا للفكر من أن يفرق الجانب الشمالي منها .

إن ثقافة الإسبانية موجودة في كل مكان ، والسبب  
أن الإسباني السطاح (كورتيز) هو فول من فزا هذا  
البلد عام 1519 تاركاً وراءه طريقاً طويلاً من الطرق  
التي تتركها الحضارة طريقاً من الأطراف  
المبتورة والرخوس المقطوعة والبطون المبتورة  
والعروش المتلومة . هذا هو ثمن الحضارة الباهظة لكن  
المبصر الغربي كان يتولى مهمته في صبر وتواضع ،  
وحقا لم يقتصد الأخ (كورتيز) في الرخوس التي  
قطعها من أجل الحضرة ..



أما عن رحلتى إلى شبه جزيرة (يوكاتين) فحدث  
ولا حرج ..

إن البلد شديد قوورة .. عبارة عن منحدر بين  
سلسلتين من الجبال : (سييرا مالدري أوكسينتال)  
وتحدها غربا و (سييرا مالدري أوكسينتال) وتحدها  
شرقا إن من غشوا أفلام رعاة البقر اللبنة مثل  
يجدون في اسم (سييرا مالدري) إشارة خاصة .. المهم  
أن السلسلتين تتلقيان في سلسلة جبال بركتية  
اسمها (سييرا مالدري دل مور)

تقع شبه جزيرة (يوكاتين) في الطرف الجنوبي  
الشرقى من البلاد وهي مخصصة وهذا يوحى رلى  
للبلد لحسن الحظ ..

يجب أن أذكر هنا أنها هي أول جزء تم اكتشافه  
من (المكسيك) عام 1517 على يد (فرانسيسكو  
فيراكسل دي كروندو)

أخيرا وصلنا إلى (يوكاتين) -

وكانت لظلال (تولوم) تنتظرنا

\*\*\*

## 10- تولوم ..

مع تكن اعرف حرفا من الإسبانية

لهذا كان معى مرشد مكسيكى بجمع بيس  
الإنجليزية والإسبانية أنه يشبه (كانتغلاس)  
الممثل المكسيكى الكوميدي فائق الشهرة ، وإن كنت  
استبعد أن تكونوا رأيتوه في أى فيلم من قبل

اسمه (إيسيو) ، هذا كلف على ما أظن ، يبدو  
لي أن كل المكسيكيين اسمهم (إيسيو) ، فلى محيل  
اسم بلين صعدا ووضع على كتفه تلك العبادة للى  
يسمونها (بالشو) ، وله وجنتان بارزتان تميزان  
جنس الهندود هنا كلا ، لا يلهم قبة وإلا بدا  
الامر مبهث فيه ؟

المشكلة هنا هي اننى غير قادر على طلب للعون  
من احد ، لا أجد على الإطلاق لولا من يصلنى  
أحد ، وأن يصمحو لى بالهت فى آفرهم -

نقول إننا وصلنا إلى لطلال (غولوم) الزهية قرب  
العروب . وليس هذا الموعد تكلية في النفس كما  
تعلن اللام رعب (هلمر) حين لا يحتو قتل مخلص  
الدماء إلا إلى هذه الساعة بحيث يصير مستبقلته  
جسمياً . الفكرة في هذا الموعد أن حركة السباحة  
تقل جداً ويقلو الوادي المصيف حول المعبد ، من  
ثم إن يوجه أحد إلى أسئلة فصولية ..

الذهاب بجثثه حولي بشكل مريب ، يرغم لظنان  
الدهان طرد الحشرات التي دهلت بها نفسي ..  
ولفتني كان مذهشاً هذه المرة بعدما غابوا  
السيرة المطلقة كان مذهشاً

المعبد ينتظر وأنا توجه إليه في صمت هاملاً  
حقيقتي .

المعبد ينتظر وضوء الغروب الأرجواني يلون كل  
شيء ..

المعبد ينتظر وكذلك لفتني المكسيكي الذي جاء  
معى ، ببساطة لأنه خائف .

ببساطة لأنني لا أريد شهيداً .

فقط قال كلمة واحدة :

.. = رى دى موسكس ! =

لم اطلب أى نوع من الترجمة هزئت رأسي  
موظفاً ونشرت له كى يلف حيث هو ، واتجهت إلى  
المعبد . ثم تكن خطواتي شجاعة كخطوات الأبطال ،  
نكها كذلك لم تكن خطوات بحاجة مريضة إلى  
مشككتي يجب أن تنتهي الآن لو سموت

لقد قلت له قبل أن أنصرف

.. = على الأرجح سأعود بعد نصف ساعة . لكن  
لو لم أعود انتظر نحو ساعة أخرى ثم أنصرف .  
اتس أنك قابلتني .. =

كانت هذه التكملة الفاضلة معاً زاده رعباً  
وتطيراً ولا ألقى عليك حقبة أنى كنت مستمتعاً  
بكل هذا الغموض إلى حد ما ما زال من الممكن أن  
تجد طفلاً سخيلاً داخل كهل يوحى بالوقر .

المعهد ينتظر . وأن توجه إليه في صمت حثيلاً  
حقيقته .

المعهد ينتظر وصوت العروب الأرجواني قد صر  
زرق

المعهد ينتظر وكنك أنفاسي

\*\*\*

الآن أدخل للمعهد القديم

لم يكن مكاناً مهجوراً أو منسياً .. لابد أنه كان  
يعج بالمسيح منذ ساعات لا أكثر لكنه الآن خال  
تماماً ، ومن الواضح أن العكسيتين لا يعبون ظلام  
لحراسة هذه الأماكن ليلاً .

الحقيقة تتدنى على ظهري ، فأخرج منها شيئاً .  
قرص الفينيل وجسرين تحسب لي لا تحمد عشاء .  
وكشاف أهدى به لي هذا الظلام الذي صار دمعاً  
لمشي في طرقات المعهد بين الجدران . شاعر؟

بخية لذل هذه المعابد لا تمثل ربع قيمة أو جمال  
مجد (الكرك) عينا مثلاً ربما كانت المعابد  
حضارة عظمى . لكنهم بالتقليد لم يكونوا بارعين في  
هذه الأمور هذا المعنى لا قيمة له إلا للقدم  
تري متى يتعنى الاخ (موسكاس) لو كانت قصة  
(موهون) صحيحة ؟

ثم يحدث شيء . ومن الجلي أنني لو جئت المعهد  
كله على عهد شين

هذه رحل لحوال كالمجنون . وقدرت أنه لو ظل  
الأمر أكثر من نصف ساعة لفسد أعود إلى الأخ  
(إميليو) وأمسى القصة كلها

لكن أنني تلاحظ تغيراً في طين الفجاء الذي يحوم  
حولني

يتعالى يتعالى

ثم بهذا بهذا .

يتعالى بهذا .. يتعالى .

ها بدأت في رعب ألهوم

إنه يمارس معنى تلك الكلمة القديمة حين كنا نخضع  
شيئاً ما من أحد لصقلها ، وينزل هو المكان بلحناً  
عنه معتدلاً على الأرباب كلما تعلّى الأرباب كان  
معنى هذا أنه أقرب إلى الشيء .. وكلما اتقص كنى  
معنى هذا أنه يتعد

رحلت اتحرك في حتر معتدلاً على عداد (جايجر)  
المصلوح من الذهب هذا .

هنا هنا على نقطة بالصوت .

إن المكان يقع إلى جوار عمود حجري متأن

جنوت على ركبتى وتفحصت الأرض كفت عليها  
طهنة كثيفة من الأثرية والصخور ، لكنى بين هذه  
الصخور تمكنت من رؤية المقبض

يا إله العالمين ! هذا صحيح إن !

رفعت المقبض بصعوبة ، لكنه من الواضح أنه لم  
يلتح منذ دهور ..

أسلط للكشاف قارى درجات سلم قديمة لا أشك  
فى أن (كرتر) وجد درجات مشابهة فى قبر (توت

صنخ أمون) وإن كفت بالأكيد الفصل حالاً لم يكن  
حدها كثيراً لأن القاع كان على بعد ثلاثة أمتار .

ولما كنت أعرف ضللى جيداً ، قلنا أعرف أن هذا  
الذهب ينتشرى كى يتقلق هذا ما يحدث معنى دوماً

لهذا بحث فى حقيبتى حتى وجدت الحبل الطيظ ،  
فأخرجته ولا هذا ربطت طرفه إلى المقبض ، ولطرف  
الأخر شدته جيداً ولففته حول العمود الحجري .

لا بأس . هكذا لن تكون هناك مفاجات .

فنهبط

\*\*\*

مقبرة (ماليا) وكهل لحمل أصليع الرأس يزلزل  
فبها وحيداً . لو رأيت هذا لكابوس فى عتاسى  
لمسخت منه لكى بالفعل أمارسه الآن

أسلط للكشاف من حولى هذا أرى .

أرى المشهد الكلاسى للقديم الذى كنا نراه فى  
صور مقابر (الصب) و (الإرتك) الصوميات

الجامعة في صفوف وقد صمت لرجلها وأفرعها إلى  
 ثلثي ثلثي رجل يجلس للفرفصاء ويسد أذنيه  
 كي لا يسمع عشرات منها بل ملكت . كلما  
 تحرس جانيي العمر .

نشد ما تعطي الظلال قطبعا بالحركة !

صوت التكشف إلى الأرض هو أليث ألد  
 لما الأهم فكان هيكلي عظميين مفتتين . لتأثرت  
 عظمهما في إعمال كلما سقطا من وضع وألف  
 وثمة بدقية عتقة مقظة بالغبار إلى جوار أحدهم  
 لا أحتاج إلى دليل سيأخذني إلى أعرف عظم من هذه .

« نعم .. كان هناك مدسبون . بالتحديد الإنسان  
 منهم . كانا من وطنك وكانا يطاربان مع  
 الأسراطين الأجير في حرب لا تلج فيها لهما ،  
 لكنهما كانا معقرين . »

هذا هو ما قلته (موهون) ، ومن الواضح أنه  
 برع حقا . لو نطق جدا لي نقل ما يسمعه .

كنت قد اتخنت قراري أنا لأحب هذا المكان  
 وأعترف أنني أخشى هذه الموسيقى كثيرا . أنت



مليحة (مليحة) وكهن أحمد أحمد الأرس يمس فيها  
 وحيد

توافقتي على ذلك هذه المغامرات لم تخلق  
ليخوضها واحد ولكن ليخوضها فريق اعرف لي  
هذه غير متطقي وغير علمي ، وأن المومياوات  
لا حطر منها ، لكن ما ذبسي إذا كان قلبي وسألي  
لا يستجيب للمطل ؟ سأرجع الآن بلا مناقشة

« اقتراب أيها الغريب »

من قال هذا ؟ لا أحد وحتى لو قلها أحد فلن  
يقولها بالعربية

« اقتراب .. اقتراب .. »

إنها فكرة لتزود في ذهني فكرة مجردة ، لكنها  
مدوية كأنما هي صرخة في بهو فارغ .

ولما لا أحب استعمال كلمة ( غريب ) هذه لأنها بالفعل  
توحى بالغربة توحي بالفعل قلبي .. يمكن لهذا  
الشيء أن يندبسي بلسمي وهو بالتأكيد يعرفه  
بكنه غير راغب في هذا القدر من الألفة طبعاً .

وجدت نفسي أمشي كالمخدر إلى تلك القاعة

القاعة التي بكى منها فتور الخلف

كرواها ؟

هذه عظمة تهشمت تحت حذائي قطعاً .. لا بد أنه  
ضلع . ضلع فلاح مصري كان من مائة علم يقف  
وقفتي هذا ، ويكر ذات أفكري  
هذه المشاعل

عشرت منها على الجدران . وقاعة صغيرة في  
حجم صلاة دارك لو كانت دارك متسعة .

من يشعلها ؟ من يضيئ بها ؟

لكم لا تجد وأنا بالتفكير أنك تصاب بالهلع من كل  
أسراب النمل هذه .. أسراب من كل شكل ولون تعوم  
حولك وتحاصرك لكنك تركك فيها جسيماً تألي وتتجه  
إلى جسم لا يمكن أن تفهم ما هو يجلس في ركن  
المكان . يبدو أن هذا معد مرتفع لو منصة  
مستحضر أن تعرف لأنه مغطى بطبقة سمكية من  
النياب وتذكرك ما قرأته يوماً عن كه إذا كتب للذكر  
والنسي من القباب الإحجاب بحرية ، ولم يقصر على  
تزيينها ، فإنه بعد عامين يكونان قد غطيا الكرة

الأرضية منها طبقة سمكها سنتيمتر من الذهب  
هذا الذهب واضح أنه يتم بوقته حقا  
مهم كان ذلك الشيء الذي يغطيه الذهب فهو  
ميت .

لا يتحرك ..

\*\*\*

مبعت يدي إلى الحقيقة .

أخرجت زجاجة الكيروسين ، وعلى بعد متر رحت  
أثر السائل قوى الزحقة على هذا الشيء في  
الركن ، والذي لا أعرف ما هو . أثار أثار عليه  
وعلى الذهب ..

فرغت الزجاجاة فأخرجت لقرى ، ورحت أثار السائل  
على الأرض وفي كل مكان .

لو سمعت في هذه اللحظة صوتا يقول لي  
لا تفعل أيها الغريب لست ذمرا .

لكن هذا لم يحدث . أحمد لله على أنه لم يحدث

كنت قد وصلت إلى باب القاعة فوقفت هناك  
أخذت نفسا عميقا ثم تناولت أحد المشاعل المعلقة  
على الجدار ، وأقبت به على السائل .

رحت شمعة زرقاء صغيرة ترحف فوق السطح  
البرقي الذي بدأ يظلي .

وبعد دقائق كانت الشمعة قد تحولت إلى نيران  
تغطي على كل شيء ..

ابتعدت أكثر بيما الذهب المحترق يتطاير نحو  
مغمضا .. وذلك الشيء في الركن يتحول إلى جذوة  
ويتهار ببطء ..

كنت أتحيران تلقى صوفا الخفت على طابور  
المومنيوات المتراسة بالخارج ، وخطر لي أنها لو  
كانت مخصصة للحراسة لقد كان الوقت كسي  
تلهض ترى هل أخيل أم أنها تتحرك فعلا ؟

لكن هذا لم يحدث لصن الحظ .

يا أحق بك خيلك المريع لحظة الموتى  
لا ينهضون ...

اتجهت إلى أسفل الدرج ونظرت لأعلى .. كان  
المدخل مفتوحاً كما هو ..

صعدت في الدرجات المعدودة ..

وفي النهاية وجدت نفسي في المعبد ، وإن كنت  
أستواء النيران القائمة من أسفل تكل على أن الذهب  
بلغ لروء مجده .. لا اعتقد أنه سيفائر القاعة على  
كل حال لمسك بالموميوات .. لا أريد أن أحرق جثة  
أيذا حتى لو كانت من ( ألمانيا ) وإن كنت استنثيت  
ملك الذهب ذاته لأسباب لا تخفى على أحد ..

أغلقت الفتحة ودست عليها جيداً .. وشعرت كأنما  
أولد من جديد ..

ونظرت لساعتي ...

لقد قضيت بالدخل خمسين وعشرين دقيقة .. هذا  
معناه أن الفتى ينتظرني بالخارج ..

ولكن هل تخشى الذئب عني ؟

\*\*\*

## الخاتمة ..

كان يقف هناك في ضوء القمر ..

ولما كان القمر وراءه فقد كان جسده محبباً  
باللون الأسود بدقة على صفحة السماء بطريقة  
( السلويت ) .. لحظت ترى حدوده الخارجية ..

كلا .. ما كان هذا هو الفتى موالتي ..

\*\*\*

كان طويل القامة قوي البنية .. وأدركت أن  
الأشياء الهارزة من رأسه هي على الأرجح قبة من  
ريش يضعها هناك ..

كان يرفع ذراعيه لأعلى كلما يستمطر السماء ..  
ومن قوقعة الأولى أدركت أنه من الأفضل ألا  
أقترب .. ربما كان من الأفضل أن أرقد على بطني ..  
كنت تعرف الأشياء غير المريحة حين تراها ..  
لكن هل كان يراقني ؟



— « هل حرقك البقايا يا سيدى ؟ »

جعتى سماع هذه الكلمات أثب متراً فى الهواء ،  
وشعرت بضربات قلبى تختلط ببعضها .. ضربات  
زائدة .. تسارع فوق بطنى .. إيقاع جوى .. إيقاع  
عقدى .. كل اضطرابات ضربات القلب الموجودة فى  
الكتب شعرت بها فى هذه اللحظة ..

ونظرت للوراء لأجد أن الفنى ( إيميليو ) على بعد  
متر منى يتوارى وراء صخرة .. وكان الرعب فى  
عينيه ربما أكثر منى ..

قلت له :

— « نعم يا ( إيميليو ) .. أنا حرقت بقايا ( ملك الذهب ) .. »

— « كان هذا خطأ يا سيدى .. »

وابتلع ريقه وهمس بالإنجليزية العجيبة :

— « هناك رجل له نصبة قصيرة ويركض بثلة سوداء .. »

وقف هنا طويلاً بانتظارى على ما يبدو .. وكان على  
أن يتوارى فى أى مكان .. فجاء اهتزت الأرض توجهاً  
ثم بدأ تخان قليل يتصاعد من المعبد .. هنا رأيت  
الرجل يتغير .. أقسم بكل القديسين إنه كان يتغير ..

كان يضحك بصوت عال .. صوت منور رهيب ..  
يتجاوب مع الصدى فى الودى .. ومن عدة أماكن  
لوت ضحكات الضباع ..

ثم رأيت أن أشياء عديدة تعتشد من حوله ..  
أشياء مشتعلة صغيرة كأنها فرشات الذهب .. إنها  
تتجمع عليه .. تقف على كل موضع من جسده ..

إنه للذهب ..

يغر من المقبرة ليلتف من حوله .. يرقص رقصته  
المجلولة ..

للرجل يضحك .. والضباع تضحك ..

ومن المعبد بدأ الضخن يتصاعد ليكمل المشهد ضباباً ..

ثم .. فى تودة .. ابتعد الرجل نحو الألقى .. وقد صار

الذهب يحيط به كأنما هو سحابة كثيفة تحيط بجبل ..

والصخيف هنا أن أكثر الذهب كان يحترق ويتهاوى

لكنه مصمم على أن يطير فى رحلته الأخيرة هذه ..

والرجل يبتعد ..

\*\*\*

ورسم على صدره الصليب ، وأردف :

« استطلعت قامته وانتفضت عضلاته .. ثم راح  
يلزع ثيابه .. وخيل إلى أنه وضع فبحة من فريش  
على رأسه .. كان يضع حول صدره وفي مصمبه  
عشرات الحلوى .. ثم رأيت الذهب يأتي من كل صوب  
ليحتشد حوله .. لقد صار ( روى دى موسكاس ) ..

.. هنا ظهرت أنت .. لكنى لم أستطع إقذارك ..

قلت له همما :

« وكيف عرفت لكنى حرفت البلقيا ؟ »

« يقول أجدادى إن هذا يجعل ملك الذهب يتحدر  
ليعيش فى جسد واحد من الأرضيين . ومن حقلنا  
الذى كان حسنا أن لحدنا لم يجد القبر قط .. من يجد  
القبر تهلجه اللعنة وأسرف الثياب فلا يجد تحررا  
إلا بالموت أو يعرق بالبقيا .. وهذا يحرر ملك الذهب  
من جديد .. »

نظرت له فى غباء .. ثم هممت :

« هل يمكننا أن نعود الآن لم أن المنطقة خطيرة ؟ »

« اعتقد أن بوسطا للقرار بشكل ما لو كنا  
سعدى الحظ .. »

وقد كنا ...

\* \* \*

فى أثناء عودتى إلى ( تكسان ) كنت غارقا فى  
الأفكار السوداء ..

طبقا لاختلاف على أن الرجل الذى ( له لعبة  
قصيرة ويروى بقلة سوداء ) هو ( موهون ) ذاته ..  
وهكذا يكون قد تحول إلى ملك الذهب هو نفسه ..  
فماذا جاعنى وحكى لى تلك القصة ؟ لأنه كان مكلفا  
بأن يتحول إلى الملك الجديد .. وهذا معناه أن الأمر  
كله كان مقصودا كى أجد نفسى أمام اللعبة .. عندها  
هل أحرقها بكامل إرغى ؟ كان الرهان لكنى ساقط .  
وقد قطت ..

يمكن أن ننصوّر أن اللعبة كما يلي : اللعبة تحل

ومن يدنس المقبرة .. ثم أولاده وأحفاده إلى أن يأتي  
أحدهم إلى المقبرة ويحرق الرفات ويفعل ما عجز  
عنه الآخرون .. هنا ظهر أحمق يدعى (رفعت  
إسماعيل) قادم إلى الولايات المتحدة قريباً .. وهذا  
الشخص يصلح لينتقل الذباب إليه . الطريقة الوحيدة  
للخلاص هي أن يزور المعبد .. وأن يحرق البقايا  
بأختياره الخاص ودون توصية من أحد ..

هذا هو الخطأ الأعظم الذي يحرر الكاثوس من  
محبسه ..

والآن لا يريد أن يفكر في أطلال (تولوم) التي  
يجول فيها ملك ذهاب جديد متعش .. أهديته أنا  
للإنسانية دون قصد طبعا ..

تري هل يجدونه ؟ هل يقتلونه ؟

لا أعرف ولا أريد أن أعرف ..

ما يهمني في القصة كلها هو أنني تحررت من  
الذباب الذي كان يطاردني ، وأنتى متعب وبحاجة

ماسة إلى العودة إلى داري .. داري البعيدة عن كل  
هذا ، وإن كنت مازلت قلقاً بصدد أجده .. من  
كانوا ومثلاً فطوا في حياتهم بالضبط ؟ لو  
(مختار) أنه تقع ثمن خطأ جد جده الذي مات في  
معبد بالمكسيك لا تهمني بالجنون ..

تري أية أخطاء على كل منا أن يدفع ثمنها يوماً ما ؟

\* \* \*

كنت هناك رحلة إلى أوروبا قبل أن أعود إلى  
مصر ..

وكانت المقبرة تنتظرنى .. هناك مقابر ومقابر ..  
لكن ما سألني لكم عنه أنا (رفعت إسماعيل) هو  
مقبرة .. وعندما أقول مقبرة فلنا ..

ولكن هذه قصة أخرى ...

رفعت إسماعيل

القاهرة